

ملحمة جلعجامس

طه باقر

إعداد موقع أولف :

موقع أبناء اللغة السريانية

www.A-Olaf.com

المقدمة

أدب وادي الرافدين القديم

والتعريف بالمحمة

١- أدب العراق ومكانته في تاريخ الآداب العالمية (١) :

بعد أن قضى الإنسان الشطر الأعظم من حياته يعيش حياة بدائية في عصور ما قبل التاريخ (التي استغرقت نحو ٩٩ % من حياة البشر على هذه الكرة) دخلت البشرية في أخطر تجربة لا تزال تعانيتها ، ألا وهي انتقالها إلى طور الحضارة ، وقد تحقق ذلك بانتقال سكان وادي الرافدين من عصور ما قبل التاريخ في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد إلى حياة الحضارة والمدنية ، وحيث نشأت أولى المدن ونظام الحكم والكتابة والتدوين والشرائع المدونة والفنون والآداب وأسس العلوم والمعارف . إلى غير ذلك من مقومات العمران والمدنية .

وعند ذلك شرع الإنسان ينظر في هذا الكون العجيب ويفكر في الحياة الاجتماعية البشرية الجديدة ومعانيها وقيمتها ، وأخذ يعبر عن تصوراته وأفكاره والانطباعات التي تركتها فيه . وسلك في تعبيره عن هذه الأمور سبلاً فكرية مختلفة ، فتارة كان ينظر إلى الأشياء نظرة موضوعية ليفيد من إمكانياتها ويسخرها له فنشأت أسس

=====

١- راجع الموجز في كتاب " مقدمة تاريخ الحضارات القديمة " الجزء الأول . الطبعة الثانية المنقحة (١٩٥٥) . الفصل التاسع عشر ، وقد استندنا إليه بالدرجة الأولى في هذه المقدمة .

العلوم والمعارف والأساليب التقنية (التكنولوجية) . وطورا كان ينظر إلى الأشياء الخالية أسطورية (ميثولوجية) فيعبر عن مظاهر الكون والحياة تعبيراً فنياً خلفه لنا على هيئة قطع فنية أو أدبية نسميها نحتاً أو رسماً أو تصويراً أو قصة أو ملحمة أو أسطورة .

والنتاج الأدبي في حضارة وادي الرافدين ذو خطورة خاصة في تاريخ الآداب البشرية ، لأنه يمثل لنا أولى محاولات الإنسان للتعبير عن الحياة وقيمها ومعانيها بأسلوب الخيال والفن .

وبالرغم من أن هذه كانت أولى المحاولات في تأريخ تطور الإنسان فإن أروع وأعجب ما سيجده الفاحص لآداب وادي الرافدين هو أنها ، مع إيغالها في القدم وسبقها جميع الآداب العالمية ، تتسم بالصفات الأساسية التي تميز وقبل أن نخلص إلى لمحة عن الميزات العامة لأدب وادي الرافدين القديم تدلل هنا على حقيقة كونه أقدم أدب عرفه العالم القديم وذلك بأن نقارنه مع آداب الحضارات القديمة المشهورة فنقول : بالرغم من أن معظم الألواح المدونة بالآداب السومرية والبابلية التي جاءت إلينا إلى حال التاريخ لا يتجاوز عهد تدوينها بداية الألف الثاني ق . م . فإن هذه الآداب المدونة قد تم إبداعها ونضجها في منتصف الألف الثالث ق . م فإذا قارنا قدم هذه الآداب بأقدام الآداب البشرية الأخرى وجدنا أنها تسبق في زمن تدوينها جميع ما أنتجه الفكر البشري .

فبالنسبة لمصر القديمة مثلاً لما يأتنا من أدبها شيء من عصر الأهرام ، وهو عصر ازدهار الحضارة المصرية ونضجها . وقد اكتشف المنقبون الآثاريون حديثاً في أوغاريت ، المدينة الكنعانية (١) ، أدباً كنعانياً يرقى تاريخه إلى حدود ١٤٠٠ ق . م . أي إلى ما بعد العهد الذي دون فيه أدب وادي الرافدين بأكثر من خمسمائة عام . ومثل هذا يقال في الأدب العبراني الذي تضمنته التوراة ، فهو متأخر جداً بالنسبة لأدب العراق القديم (إذ لا يتعدى زمن تدوين التوراة القرنين السادس والخامس ق . م) . ونذكر على سبيل المقارنة أيضاً الإلياذة والأوديسة اللتين تمثلان أقدم نماذج

=====

١- ويعرف موضوعها الآن باسم " رأس شمرة " بالقرب من اللاذقية .

للأدب اليوناني ، ونذكر " الرج - فيدا " (Rig Veda) الممثلة لأدب الهند القديم و" الافستا " (الأبتاق) المتضمنة أدب إيران القديم ، فما من هذه الآداب القديمة ما قد دون قبل النصف الأول من الألف الأول ق . م . - أي زمن تدوين أدب العراق القديم يسبقها بما لا يقل عن ألف عام (١) .

وبالإضافة إلى ميزة القدم هذه التي تميز أدب العراق القديم فإن هناك صفة أخرى تميزه بمقارنته بتلك الآداب العالمية القديمة ، وهذه الصفة هي أن كلا من هذه الآداب التي سقناها للمقارنة بأدب السومريين البابليين قد عانى كثيراً من التحوير والتبديل والإضافة على أيدي النساخ والجماعيين والشراح ، في حين أن الأدب " السومري - البابلي " قد وصل إلينا على هيئته الأصلية غير محوّر ، أي كما كُتب ودون بأنامل الكتبة السومريين والبابليين قبل ٤٠٠٠ ق.م (١) .

على أنه مع هذا القدم الواغل في الأحقاب فالطريف ما روي عن السومريين أنهم لم يتصوروا أنفسهم حديثي عهد في المدنية والحضارة بل كانوا يعدون أنفسهم وراثاء ماضٍ بعيد مجيد ، وقد تخيلوا ذلك الماضي البعيد على هيئة " عصر ذهبي " كان السلام والوئام فيه يسودان العالم ، فلا خوف ولا حزن ولا بغضاء ولا حيوانات مفترسة تنازع الإنسان البقاء بل كان الخير يعم الكون وكان " البشر بلسان واحد يمجدون الإله أنليل (٢) " إن هذه الصورة الجميلة المتخيلة التي تصور عهداً كان البشر فيه أسعد وأكمل من العصر الراهن قد شاعت لدى معظم الشعوب (٣) " ولم تتمكن فكرة " التقدم " البشري من الذبوع إلا في العصور الحديثة وبوجه خاص منذ القرن التاسع عشر ، وهناك من أبناء العصر الحالي من يؤمن بفكرة " الماضي الذهبي " . وقبل أن نترك موضوع التدوين الأدبي في حضارة العراق القديم نذكر هنا اكتشافاً أثرياً حديثاً ذا أهمية وخطورة خاصتين ، لدلالته على وعي أدبي وولع في التدوين الأدبي لدى كتاب العراق الأقدمين ، فقد وجد أن من بين الألواح المكتشفة في نفر في النقيبات القديمة لوحين ، أحدهما الآن موجود في متحف اللوفر في باريس ، والآخر في متحف جامعة فيلادلفيا في أمريكا وكلاهما مدون بعناوين

=====

١ - انظر S.N Karmer , Sumerian Mythology

٢ - انظر نص هذه الأسطورة الجميلة في ذات المصدر (رقم ٣)

٣ - قارن ذلك بأساطير بعض الأمم القديمة كاليهندي والصيني

تأليف وقطع أدبية سومرية ، أي فهارس أدبية . يحتوي لوح فيلادلفيا على اثنين وستين عنواناً ، كما يتضمن لوح " اللوفر " ثمانية وستين عنواناً ، وإذا أخرجنا ٤٣ عنواناً مكررة في اللوحين فإن هذين اللوحين يزوداننا بـ ٨٧ عنواناً لتأليف أدبية أمكن تعيين ٢٨ تأليفاً منها مما وجد أصله ونصه الكامل في الألواح الطينية (١) التي عُثر عليها في المواضع الأثرية في العراق . ويرجع زمن هذين اللوحين إلى الألف الثاني ق . م والذي عليه جمهرة الباحثين هو أن الشعر في حضارة وادي الرافدين وفي آداب الحضارات الأخرى كان على ما يرجح أقدم نتاج أدبي .

كما يرجح أيضاً أن منشأ الشعر في أدب حضارة وادي الرافدين من الغناء والقصيد الشعبي (٢) . والشعر في أدب الرافدين القديم – سومرياً كان أو بابلياً – مثل أنماط الأشعار البشرية الأخرى – كان يخضع لفن خاص من النظم والتأليف . فهو يتألف من أبيات قوام كل بيت من مصراعين (الصدر والعجز) ، وكان موزوناً ، ولكنه غير مقفى . فهو بذلك مثل الشعر العبراني اليوناني والروماني ، أي أنه على غرار ذلك النوع من الشعر الإنجليزي المعروف " بالشعر المرسل " (٣) .

والعادة في الشعر البابلي ، كما أن في أسطورة الخليفة وملحمة جلجامش ، أن القصيدة فيه تنقسم إلى وحدات تتكون الوحدة منها من بيتين من الشعر (دوبيت) والأعم في البيت الثاني أن يكون معناه إما مغايراً لمعنى البيت الأول أو مشابهاً له أو مكماً . وقد تُوِّلف في بعض الأحيان أربعة أبيات في القصيدة وحدة في المعنى فتكون القصيدة بهيئة مجموعة البيت الواحد وبين بيت وبيت .

=====

١- انظر نشر اللوحين في المرجع الآتي : S .N . Karmer " The Oldest Literary Catalogue " in : te Bulletin of the American Schools of Oriental Research , No 88 (1942) .

٢- يرى أغلب الباحثين في الأدب أن الغناء كان أصل الشعر في جميع الآداب البشرية ، ولعل مما يؤيد هذا الرأي أن كلمة " شعر " موجودة في كل اللغات السامية تقريباً تعني في أصل ما وضعت له " الغناء " مثل " شيرو " الأكادية و " شير " العبرية و " شور " الآرامية التي تعني في الأصل الغناء والنشيد . ومن ذلك المصطلح العبراني " شير هشريم " (أي نشيد الإنشاد المنسوب إلى سليمان في التوراة)

٣- (Blank Verse) وخير ما يمثل مسرحيات شكسبير الشعرية ، حول أوزان الشعر البابلي ولا سيما في ملحمة جلجامش انظر البحث القيم :

DeLiagre Bohl " La Metrique de l'Épopee Babylonienne "

المنشور في تقرير السابع للمستشرقين من جماعة " ثورو دانجان " (باريس ١٩٥٨) ، والمشار إليه بنصه الكامل في آخر هذه المقدمة .

وفي الأزمان المتأخرة صار الناظمون يتفننون في فن التأليف والصناعة والصيغة اللفظية ، ونورد مثلاً على ذلك ضرباً من القصائد الشعرية إذا أخذت فيها المقاطع الأولى من كل بيت في القصيدة وجمعت وضمت بعضها إلى بعض فإنها تؤلف جملة ذات معنى قد تتضمن اسم الشاعر أو دعاء خاصاً لإله معين أو غير ذلك من المقاصد (١) . ولعل أبرز ميزة في آداب العراق القديم مما سيلاحظ القارئ لملمحة جلجامش ، ويشترك فيها مع الآداب العالمية القديمة ، كثرة التكرار والإعادة مما قد يبعث السأم والملل في بعض المواقف في ملحمة جلجامش وأسطورة الخليفة البابلية . ومن الظريف ذكره بصدده الميزة أن الباحثين المحدثين قد استعانوا بهذه الصفة في تكميل مواطن كثيرة قد انخرمت وضاعت من النصوص الأصلية في ألواح الطين . ومن الميزات الأخرى التي سيقف عليها القارئ في ملحمة جلجامش (في ديباجة الملحمة) استباق الحوادث أو بالأحرى استباق ما ستمخض عنه القصة أي الحل والنهاية . ففي ملحمة جلجامش تبدأ الرواية بمقدمة أو ديباجة في تعريف بطل الرواية والتعني بأمجاده وما يتفرد به من الحكمة والمقدرة ، وتتوه أيضاً بحوادث الرواية وموضوعها بل حتى نتيجتها ونهايتها .

والواقع أننا نجد ما يضاهاه ذلك في الملاحم العالمية الكبرى مثل الإلياذة والأوديسة والملحمة الجرمانية المعروفة باسم (أغاني النيبلونك) أو (أغاني أرض الظلام) (٢) ، وقد يجوز لنا تعليل ذلك بكون المؤلف إنما فعل هذا ليحرك في السامع والقارئ الشوق لتتبع حوادث الرواية . وشبيه بهذه الميزة أن العادة في القصص والملاحم ، كما في ملحمة جلجامش ، أن تكون نهاية الملحمة شبيهة ببدايتها أو ديباجتها أو بعبارة أخرى أنها تنتهي بخاتمة تماثل الديباجة التي بدأت بها ، وهذا يدل على أن ما جاءنا من نصوص ملحمة جلجامش يمثل الملحمة الكاملة . ولعل أقرب شبه بهذا الأسلوب الأدبي ما نجده في المزامير (في التوراة ولا سيما المزمور الثامن) ، وما نجده أيضاً في بعض التراثيل الكنسية (٣) .

=====

١- وتعرف هذه الصناعة الشعرية بمصطلح Alliteration أو Acrostic

٢- Niebelungenlied ملحمة جرمانية شهيرة من آداب القرون الوسطى وهي مثل ملحمة جلجامش والأوديسة ، تدور حوادثها على مغامرات البطل سيجفريد في أرض " النيبلونك " (بورغندي) وكيف أن ملوك تلك البلاد قتلوه ، ثم أخذت زوجته بتأره منهم .. الخ

٣- والظريف ذكره عن هذا الأسلوب من الفن القصصي القديم مضاهاته لأساليب العرض الحديثة في العرض السينمائي حيث يبدأ الفلم بلقطة من خاتمة الرواية ثم تبدأ حوادث الرواية المتسلسلة حتى تنتهي بالمنظر الذي قدمت به .

ونختتم هذه المقدمة الموجزة في أدب العراق القديم بالتنويه بميزة أخرى تتعلق بتدوين هذا الأدب ، تلك هي كثرة النسخ للقطع الشهيرة التي وضعها القوم في الأزمان المختلفة ، وانتشار هذه النسخ في معظم أرجاء العراق القديم وبين غالبية الأقاليم القديمة ، فقد وجدت نسخ لبعض القطع الأدبية الشهيرة مثل ملحمة جلجامش في المآثر الحثية في الأناضول وفي بلاد الشام وفي عيلام وحتى في الأدب المصري القديم مثل قصة " أدايا " . وبالنظر لتعدد القطع الأدبية التي جاءتنا من العراق القديم مما دون بالسومرية أو البابلية فإننا نقتصر هنا على أنواع القطع الأدبية وتصنيفها حسب الموضوعات المختلفة التي عالجتها (١) ، فهناك مجموعات كثيرة بالسومرية والبابلية تدور حول الخليقة وأصل الوجود والكون والآلهة والعمران (مثل أسطورة الخليقة البابلية) إلخ . ومجموعات أخرى تدور حول أعمال الأبطال كملحمة جلجامش الشهيرة وقصة " إيتانا " الراعي وقصة " أدايا " ، وقصص النزاع بين الوركاء وكيش المتمثلة بقصة " أكا " و " جلجامش " إلخ ، ومجموعات ثالثة تدور على أساطير العالم الأسفل وعالم الأموات مثل أسطورة نزول عشتار إلى ذلك العالم ، ونزول " أنكيديو " صاحب جلجامش (كما يمثل ذلك اللوح الثاني عشر من مجموعة جلجامش) . ولا مناص من ذكر القطع النثرية التي تضمنت الرسائل وأعمال الملوك والأخبار التاريخية ، ومجموعة كبرى تتضمن الترتيل والأغاني الدينية والصلوات والأدعية المخصصة للآلهة المختلفة في الأعياد الدينية .

=====

١- أسهل وأحدث مراجع عن الموضوع في :

Pritchard , The Ancient Near Eastern Texts (Princeton Un , Press 1950) .

- 1- Karmer , Sumerian Mythology (1961) .
- 2- Karmer , From the Tablets of Sumer (1956) .

وقد ترجم المؤلف الكتاب الأخير إلى العربية وطبع عام (١٩٥٨) بعنوان " من ألواح سومر " ويجد القارئ تلخيصاً شاملاً لأشهر القطع الأدبية في كتاب المؤلف " مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة " الجزء الأول (١٩٥٥) . وانظر مجلة سومر (١٩٥١) .

٢- موجز في تعريف ملحمة جلجامش

مكانتها في أدب الملاحم العالمي :

بعد أن أوجزنا في ما أوردناه سابقاً مكانة أدب العراق القديم في تاريخ الآداب العالمية ، نتناول في القسم الثاني من هذه المقدمة ملحمة جلجامش التي هي أحسن أنموذج يمثل لنا أدب العراق القديم فنسجل بعض الملاحظات العامة عنها قبل إيراد ترجمة نصوصها ليكون إدراكنا لها أدق وأوفى .

إن ملحمة جلجامش ، التي يصح أن نسميها بأوديصة العراق القديم ، يضمها الباحثون ومؤرخو الأدب المحدثون بين شواخ الأدب العالمي ، وإذا تذكرنا ما قلناه في معرض مقارنة قدمها بأقدم النماذج الأدبية العالمية ، أدركنا أن ملحمة جلجامش أقدم نوع من أدب الملاحم البطولي في تاريخ جميع الحضارات ، وإلى هذا فهي أطول وأكمل ملحمة عرفتتها حضارات الشرق الأدنى . وليس ما يقرب بها أو يضاهيها من آداب الحضارات القديمة قبل اليونان (١) ومع أن هذه الملحمة قد دونت قبل ٤٠٠٠ عام ، وترجع حقبة حوادثها إلى أن أزمان أخرى أبعد ، فإنها ، مثل الآداب العالمية الشهيرة ، ما تزال خالدة ذات جاذبية إنسانية عامة في جميع الأزمنة والأمكنة ، لأن القضايا التي عالجتها لا تزال تشغل بال الإنسان وتفكيره وتؤثر في حياته العاطفية والفكرية مما جعل مواقفها وحوادثها مثيرة تأسر القلوب . وسيوضح لنا من الوقوف على نص الترجمة أن هذه الملحمة البطولية الخالدة قد عالجت قضايا إنسانية عامة ، كمشكلة الحياة والموت ، وما بعد الموت ، والخلود ، ومثلت تمثيلاً مؤثراً بارعاً ذلك الصراع الأزلي بين الموت والزوال المقدرين وبين إرادة الإنسان المغلوبة المقهورة في محاولتها التشبث بالوجود والبقاء . فهي بذلك تمثل التراجمي الإنسانية الأزلية المتكررة .

أجل ! لقد شغلت الملحمة بفكرة أو موضوع أساسي وهو البرهان بأسلوب مؤثر على حتمية الموت حتى بالنسبة إلى بطل مثل جلجامش ثلثاه من مادة الآلهة الخالدة وثلثه الباقي من مادة البشر الفانية ، لأن الآلهة ، كما جاء في الملحمة " قد استأثرت بالحياة وقدرت الموت من نصيب البشرية " . ولكن أليست هذه من البديهيات لدى جميع البشر ؟ أليست حقيقة الموت البديهي لا تزال تتكرر ليل نهار في حياة الإنسان

=====

١- انظر البحث المهم للأستاذ B.Landsberger المنشور في خلاصة أبحاث المستشرقين من جماعة " ثورو دانجان " المؤتمر السابع المنعقد في باريس ١٩٥٨ والمشار إليه في آخر هذه المقدمة .

منذ أن وجد على هذه الأرض قبل نحو مليون عام ؟ إنن فما وجه الجدة والأصالة في عرض مسألة الموت والحياة والبرهنة على حتمية الموت في ملحمة جلجامش ؟ الواقع أن هذه الظاهرة المتكررة المعادة رغم كونها تبدو من البديهيات لدى العقل الواعي والتفكير المنطقي إلا أنها لا تزال لغزاً محيراً بالنسبة لأحاسيس الفرد ورغباته وغرائزه الحياتية ، تأخذ بلب الفرد ، وهي موضع حيرة في قرارة كل نفس بشرية ، وتكون شغل الإنسان الشاغل وهو على أبواب الشيخوخة . إنها تتمثل على هيئة صراع بين إرادة الإنسان بتشبثها بالحياة وبين تلك الحقيقة البديهية بالنسبة للعقل والمنطق . وفوق هذا فإن الملحمة تسمو على مجرد البرهنة على هذه الحقيقة البديهية . فهي تتناول مسألة أخلاقية كبرى شغلت عقل الإنسان منذ أقدم العهود . فإذا كان الموت محتملاً وإذا تعذر على الإنسان نوال الحياة الخالدة سواء كان بالتغلب على الموت أو بوجود حياة أخرى بعد الموت (وهي فكرة لم تكن واضحة لدى العراقيين القدماء) فما ينبغي على الفرد أن يسلك في هذه الحياة ؟ أينبذ هذه الحياة ويفر منها ويطلق هذا العالم ويفنى في " النرفانا " ؟ أم يسلك سبيل اللذة والتنعيم في هذه الحياة كما جاء على لسان صاحبة الحانة ؟ أم يتقبل تحدي قانون الحياة ويذعن لما ليس منه بد فيضبط النفس ويقوم بتلك الأعمال التي تخلده بعد حياته كما فعل بطل الرواية جلجامش بعد رجوعه يائساً من مغامراته في سبيل الحصول على الخلود ؟ إن هذه القضايا الكبرى تؤلف فكرة الملحمة الأساسية ، وقد وضعت لها الحلول المنسجمة مع أنماط العقائد الدينية والظروف الاجتماعية السائدة في ذلك المجتمع المتحضر قبل أربعة آلاف عام ، وذلك بالإقبال على هذه الحياة واستغلالها إلى أقصى حدود الاستغلال الفردي وإتيان الأعمال التي تخلد الفرد ولسان حالهم يقول " والذكر للإنسان عمر ثان " .

هذا ولم ينفرد سكان العراق القدامى باهتمامهم بمسألة الموت والحياة تلك بل تناولتها آداب الأمم والأقوام في مختلف العهود والأزمان ، فنجدها متغلغلة في مآثر اليونان الأدبية الخالدة ، وفي الأدب العربي قصص طريفة عن أخبار المعمرين وأخبار عن كثير من الأبطال الذين ركبوا الأخطار وخاضوا المغامرات لحل مشكلة الخلود والبقاء ، كقصة لقمان الحكيم في مآثر في العصر الجاهلي وذي القرنين والخضر والتائه وتبع الأوسط وشمر يرعش وقيس بن زهير وقد نسب لبعضهم الخلود المطلق مثل الخضر كما نسب لبعضهم أعمار هائلة تنهي بالموت مثل لقمان الذي عاش أعمار سبعة نسور كان آخرها " لبد " الذي انتهت حياة لقمان بموته .

وزيادة على هذه القضايا الإنسانية الكبرى سيجد القارئ لمحنة جلجامش أنها تزخر بصور رائعة لمواضيع إنسانية أزلية حساسة . فهناك الصداقة والحب والبغض والأمانى والحنين إلى الذكريات والبطولة والحرب والمغامرات والرثاء . ولعل

أروع رثاء في تاريخ الحب والصدقة رثاء جلامش المؤثر لصديقه وخله أنكيو وبكاؤه عليه .

وعلاوة على ذلك فإن الملحمة على درجة من الخطورة والأهمية في تصويرها لنا تصويراً مؤثراً جوانب مهمة من حضارة وادي الرافدين ، فهي لدارسي تلك الحضارة منجم زاخر يستقي منه فهم أوجه ومقومات أساسية لأحوال العراق القديم قبل أربعة آلاف عام . فيقف فيها على عقائد القوم الدينية وآرائهم وأفكارهم في الحياة والكون وأحوالهم الاجتماعية والجوانب المثيرة من حياتهم العاطفية والعقلية وعلاقاتهم الاجتماعية وتركيب أقدم مجتمع متحضر في تاريخ العمران البشري ، كما يجد صورة رائعة عن البداوة المتاخمة لحضارة وادي الرافدين وكيفية تدرجها إلى طور الحضارة وفضائل هذه الحضارة وراثتها ، وأعني بهذه الصورة ما سيجده القارئ في سيرة بطل الملحمة الثاني وهو " أنكيو " صاحب جلامش .

انتشار الملحمة في حضارات العالم القديم :

وإذا كانت الملحمة لا تزال تؤثر بمواقفها وحوادثها في أبناء العصور الحديثة بعد مضي أكثر من أربعة آلاف عام على تدوينها ورغم اختلاف الأذواق والقيم فكم يا ترى كان أثرها عظيماً في عقول العراقيين الأقدمين بوجه خاص وأبناء الحضارات المجاورة التي ازدهرت في أقاليم الشرق الأدنى بوجه عام !

ولعل خير ما يكشف لنا عن أثرها العظيم في عقول أبناء الحضارات القديمة المدى الواسع الذي انتشرت فيه في العالم القديم . فبالنسبة لسكان العراق الأقدمين لم يقتصر تداولها على سكان القسم الجنوبي والوسطي من العراق ، وهو القسم الذي عُرفَ باسم بلاد سومر وأكاد ، بل تسربت أيضاً إلى القسم الشمالي أي إلى بلاد آشور . فقد وجدت نسخ كثيرة لها في حواضر العراق القديم من عهد ازدهار الحضارة البابلية في العهد البابلي القديم (الألف الثاني ق . م) . أما بالنسبة لبلاد آشور فإن آخر نشرة لها كاملة وصلت إلينا قد وجدت نصوصها في خزانة كتب الملك الآشوري آشور بانبيال الشهيرة ، على نحو ما سنفصله فيما بعد وبالنسبة لمراكز الحضارات القديمة سبق لنا أن نوهنا بعثور الباحثين على نسخ كثيرة من أجزاءها في أقاليم نائية مثل الأناضول ، موطن الحضارة الحثية، وقد دون بعض هذه النصوص باللغة البابلية القديمة ، كما وجدت أيضاً ترجمات إلى اللغتين الحثية والهورية . وحديثاً تم اكتشاف مثير لنسخة من بعض فصولها في إحدى مدن فلسطين القديمة وهي " مجدو " (الشهيرة في التوراة) ، ويرجع زمن هذه النسخة الصغيرة إلى حدود القرن الرابع عشر ق . م . ولعل أطرف ما وجده المنقبون حديثاً في الموضع الأثري المعروف باسم سلطان تبه (في جنوبي تركية قرب حران)

أجزاء من الملحمة ورسالة عجيبة زورها كاتب قديم في الألف الثاني ق . م فقد جاءت تلك الرسالة على لسان البطل جلجامش معنونة إلى أحد الملوك القدماء يطلب منه جلجامش (كذا) إرسال أحجار كريمة ليصنع منها تعويذة لصديقه " أنكيو " تزن ثلاثين مناً (١) . هذا عن الانتشار الواسع عن هذا الطريق المباشر ، أي الاستنساخ والترجمات المختلفة التي وجدت في مراكز الحضارات القديمة . ولكن هذه الملحمة العتيقة قد أثرت كذلك في آداب الأمم القديمة وقصصها وملاحمها بطرق غير مباشرة ، أي بالتأثر بحوادث الملحمة وقصصها ، وعلى رأس ذلك حادثة الطوفان الشهيرة التي شغلت من ملحمة جلجامش فصلاً مهماً بارزاً . وسيقف القارئ بنفسه على مدى الشبه العظيم بين روايات الطوفان لدى الأمم القديمة ، وأطولها وأسهبها ما ورد في التوراة ، وبين رواية الملحمة لهذا الحدث الذي أثر في عقول أبناء الحضارات القديمة فاقتبست أخباره ورواياته من أدب حضارة وادي الرافدين . والذي نعتقه بصدد هذا الطوفان (٢) أنه كان في الأصل حادثة تاريخية واقعية حدثت في طيات الماضي البعيد ، وكانت من جسامه التأثير وفداحته أنها تركت أثراً بليغاً في عقول الأجيال المختلفة فتناقلتها بالروايات الشفوية فشوهت تفاصيلها التاريخية . وبالنظر لأوجه الشبه الكثيرة بين رواية الطوفان في ملحمة جلجامش وبين رواية التوراة (٣) فإننا نعتقد أن كلتا الروايتين ترجع إلى حادثة واحدة ، وإن هذه الحادثة وقعت في العراق القديم ، ولا سيما في القسم الجنوبي منه ، أي في السهل الرسوبي ، وإن زمنها يرجع إلى نهاية العهد المسمى في تاريخ حضارة وادي الرافدين باسم جمدة نصر (في حدود ٣٢٠٠ ق . م) وإلى أوائل العصر الحضاري المسمى بعصر فجر السلالات (في حدود بداية الألف الثالث ق . م) ،

١- أي نحو ١٥ كيلوغرام إذ أن الـ " منا " البابلي يزن نحو رطل انجليزي أو نحو نصف كيلو غرام

٢- مصادر عن أخبار الطوفان ومضاهاة الرواية البابلية لمآثر التوراة والأمم الأخرى :

1- A. Heidel , The Gilgamesh – Epic and Old Testament Parallels (Chicago 1949)

2- M David " Le Recit du Deluge et L'Epopée de Gilgameh "

المنشور في تقرير المؤتمر السابع للمستشرقين في باريس ١٩٥٨ المشار إليه سابقاً وفي آخر هذه المقدمة
- مقالة للمؤلف في مجلة " سومة " ١٩٥١

٣- المصادر المذكورة نفسها

كما يرجح ذلك بدلالة التنقيبات الحديثة حيث عثر على بقايا ترسبات طوفان تفصل بين عهدي جمدة نصر وعصر فجر السلالات في جملة مدن قديمة مثل كيش (تل الأحيمر الآن) والوركاء و " شورباك " (فارة الآن) . ويجدر بنا أن نذكر في هذا الصدد أن المدينة الأخيرة كانت ، كما جاء في ملحمة جلجامش ، موطن نوح الطوفان البابلي " اوتو – نبشتم " ، كما ذكرت في إثبات الملوك السومرية من المدن الثماني التي حكمت فيها سلالات قبل الطوفان ، فقد قسمت تلك الإثبات الشهيرة السلالات الحاكمة في العراق إلى قسمين ، سلالات حكمت قبل الطوفان وسلالات حكمت بعد الطوفان . أما سبب الطوفان فلا يعسر علينا إدراكه ولا سيما في أرض مثل السهل الرسوبي من العراق الذي كان معرضاً في جميع عهوده إلى خطر الفيضانات .

والبطل جلجامش نفسه انتقل اسمه إلى معظم آداب الأمم القديمة أو أن أعماله نُسبت إلى أبطال الأمم الأخرى مثل هرقل و الاسكندر ذي القرنين (١) والبطل " أوديسوس " في الأوديسة (٢) .

=====

١- نشير بوجه خاص إلى قصة نشدان الاسكندر للخلود في نبع كانن في بحر الظلمات المضاهية لفكرة ملحمة جلجامش ، وأشهر قصص الأسكندر الواردة فيها تلك القصة ما نشره " كارل مولر " بالإستناد إلى ثلاث مخطوطات عُثر عليها في المكتبة الوطنية في باريس .

٢- حول انتشار تأثيرات الملاحم وقصص العراق القديم إلى الأدب اليوناني ، انظر أحدث مرجع في الموضوع:

T . B . L . Webster , From Myoenae to Homer

وحول مقارنة الملحمة بالأوديسة انظر مقالة (P . Jensen) في مجلة :

Zeitschrift fur Assyriologie (1902) 125)

وانظر المجلة نفسها حول بحث الكاتب نفسه عن تراث ملحمة جلجامش في القصص العبراني (الص ٤٠٦ فما بعد) وأحدث بحث في الموضوع :

A. Ungnad , Gilgameseh – Epos und Odyssee

وانظر البحث المهم المنشور في تقرير المؤتمر السابع للمستشرقين في باريس ١٩٥٨ وعنوانه :

A. Heubeck , " Betrachtungen Zur Genesis des Homerischen Epos "

بطل الملحمة ومصادرها وأصولها :

عجباً من كان جلجامش هذا الذي أصبح مثلاً يُحتذى به لدى أبطال الأمم الأخرى ؟ قبل أن نحاول الإجابة على هذا الموضوع بذكر الحقائق التاريخية القليلة المتعلقة بشخصية جلجامش التاريخية نقول : " إن جلجامش كان في تاريخ أدب وادي الرافدين القديم من أبطال القصص والملاحم ، وقد أصبحت أعماله ومغامراته مادة لملاحم وقصص سومرية وبابلية عديدة . أما الحقائق التاريخية عنه فهي قليلة . ومن ذلك أن اسمه ورد في إثبات الملوك السومريين من سلالة الوركاء الأولى ، وهي السلالة الثانية التي حكمت من بعد الطوفان وكانت سلالة كيش أول سلالة حكمت بعد حادثة الطوفان مباشرة . ويأتي ترتيب حكمه في سلالة الوركاء الأولى خامس ملك ، وقد خصصت إثبات الملوك له حكم ١٢٦ عاماً ^(١) وتروي القصص (كما في ملحمة جلجامش) أم أمه كانت الآلهة " نנסون " زوجة الإله (لوكال بندا) ، ولكن أبا البطل جلجامش لم يكن (لوكال بندا) وإنما ورد ذكره في إثبات الملوك السابقة الذكر بهيئة " للا " (الذي يعني نوعاً من الشياطين) وإنه كان كاهن كلاب ^(٢) . وذكره أحد ملوك الوركاء المسمى " أنام " (من العهد البابلي القديم في مطلع الألف الثاني ق . م) بأن سور مدينة الوركاء كان من أعمال ذلك البطل . كما ذكر في كتابات الملك " أورنمو " ، مؤسس سلالة أور الثالثة (٢١٠٠ - ١٩٠٠ ق . م) أن جلجامش صار ملكاً وقاضياً في العالم الأسفل . وذكر بهذه الصفة في تعويذة القديمة) ويرجع زمنها على الأرجح إلى أواخر عهد جحدة نصر (٣٢٠٠ ق . م) . وموجز القول يبدو من جماع الأدلة الكتابية والأثرية أن جلجامش كان أحد حكام

=====

١- ونص تلك الإثبات فيما يتعلق بموضوعنا . بعد الطوفان : سلالة كيش الأولى ثم سلالة الوركاء الأولى وأوائل ملوكها :

أ- مسكيك كاشر حكم ٣٢٢ سنة

ب- انمر كاز حكم ٤٢٠

ج- لوكا بندا المقدس ، حكم ١٢٠٠ سنة

د- دموزي الراعي ، المولود في " أريدو " حكم ١٠٠ عام

هـ - جلجامش ، أبوه " للا " كاهن كلاب ، حكم ١٢٦ عام .

ز- " اورننكال " ابن جلجامش ، حكم ٣٠ عاماً

٢- كلاب ثاني قسم من مدينة الوركاء ، ويدعى القسم الأول باسم " أي - أنا " الذي كان فيه حارة المعبد المقدس المخصص لعبادة الإله " أنو " والآلهة " إنانا " (أي عشتار)

دينية باسم الإله " جلجامش " (١) ، ولعل أقدم كتابة ذكرت اسم جلجامش و (ولوكال بندا) بصفتها اسمين مؤلهين الألواح الصورية التي وجدت في فارة (شروباك دول السومرية في مطلع العصر المسمى بعصر فجر السلالات (٣٠٠٠ - ٢٤٠٠ ق . م) ولعله من أواخر عهد " جمدة نصر " المشار إليه . وإنه حكم في الوركاء ونُسبت إليه أعمال البطولة المختلفة في القصص والأساطير السومرية ومنها قصة " أكا " ، ملك كيش ونزاعه مع جلجامش ، وإن الملحمة بشكلها الأكدي (السامي) بدأت تتبلور في عهد سيطرة السلالة الأكديّة السامية التي أسسها سرجون الأكدي الشهير (في حدود ٢٣٥٠ ق . م) ودونت كاملة في بداية الألف الثاني ق . م

أما كتابة اسمه فقد وردت في جملة صيغ أشهرها (٢) :

١- في السومرية – GISH – BIL – GA - MESH

٢- وبالطريقة الرمزية بالعلامات IS (GISH) TU – BAR وقد ذكرت هذه الصيغة (المذكورة في النصوص الأكديّة) مرادفة للقيم الصوتية للاسم أي GI-IL-GA-MESH

=====

١- راجع :

Alexander Heidel , Op . Ch . P . 5 . von Soden in Zeitschrift fur Assyriologie , XLIII (1936) 266

W.G Lambert , " Gilgamesh in Religious , Historical and Omen Texts , and the Historicity of Gilgamesh "

المنشور في تقرير المؤتمر السابع للمستشرقين (باريس ١٩٥٨) والمشار إليه سابقاً

٢- انظر : C.Thompson , The Epic of Gilgamesh , P. 9

٣- وفي ألواح العهد البابلي القديم كتب الاسم مختصراً بمجرد GISH(ii)

٤- وفي النسخ المستخرجة من عاصمة الحثيين (وفي النص الأكدي والحثي)
GISH-GIM-MASH

٥- وذكره بعض الكتاب الرومان ^(١) بصيغة Gilgames

٦- وفي إثبات آرامية لبعض الملوك البابليين ^(٢) ذكر البطل بصيغة " جيموس " و" جلمجوس " (بلفظ الجيم كافا فارسية) .

هذا ولا يعلم معنى اسم " جلجامش " بالضبط ، وقد ذكرت بعض النصوص الأكديّة ترجمة له باللغة الأكديّة معناها " المحارب الذي في المقدمة " ، كما أن هناك احتمالاً لاسمه السومري معناه " الرجل الذي سيكون نواة لشجرة جديدة ، أي " الرجل الذي سيولد أسرة " ^(٣) .

تمثيل جلجامش وأنكيديو في الفن :

ونختتم هذه الملاحظات عن اسم بطل الملحمة بذكر شيء له علاقة بشخصية هذا البطل وشخصية صديقه وصاحبه " أنكيديو " ، وهو أن هذين البطلين لم يقتصر أمر شهرتهما في العالم القديم على القصص والأساطير بل أنهما مثلاً في فن حضارة وادي الرافدين ولا سيما في المنحوتات والخواتم الأسطوانية . ففي خواتم عصر فجر السلالات (٣٠٠٠ - ٢٤٠٠ ق . م) كثيراً ما يمثل بطل وهو يصارع

=====

١- وبوجه خاص الكاتب الروماني كلوديوس اليانوس (Cladius Aelianus) من أهل القرن الثاني للميلاد في كتابه : De Natura Animallum , XII,21

الذي روى قصة طريفة عن جلجامش مؤداها أنه حينما كان الملك " سيوخوروس " (الذي يرجح أنه الملك الأسطوري " انمركار " الوارد في سلالات الملوك السومريين) يحكم البابليين تنبأ الكلدانيون بأن الابن الذي ستلده له ابنته سيغتصب منه العرش وانه رغم محاولة هذا الملك في إهلاك الطفل الذي ولدته ابنته يرميه من أعلى الحصن ، فإن القدر شاء أن يبقى على الطفل وذلك بأن حملته نسر كان طائراً أثناء القائه ، ثم التقطه أحد خدم القصر وسماه " كل كاموس " فتزوج هذا وحكم البابليين . وهذه أسطورة مشابهة لما في الأدب اليوناني عن الملك " ارجوس " .

٢- إثبات " ثيودور برخوني " (٨٩٣ للميلاد)

٣- انظر Jacobsen , Sumerian King – Lists (1939) P . 188 . note 48

الحيوانات البرية المفترسة وقد عين هذا البطل بجلجامش . وهناك ختم اسطواني طريف نقش بصورة بطل وهو يصارع أسداً ، وفي الختم كتابة باسم صاحبه الذي يُسمى نفسه " أور - جلجامش " (أي خادم أو صاحب جلجامش) . كما عُثر على ختم عليه اسم الملك الأكدي " شاركالي شاري " ، وفيه صورة البطل جلجامش وفي رأسه القرون التي كانت من شارات الآلهة . ونجد جلجامش يمثل في المنحوتات الآشورية الملكية بهيئات مختلفة أشهرها شخص يحمل جديين لتقريبهما إلى الإله شمش . وصور في منحوتتين كبيرتين وجدتا في قصر الملك الآشوري " سرجون " في عاصمته خرسباد (٧٢٠ - ٧٠٢ ق . م) يشاهد فيهما جلجامش بالنحت البارز بحجم كبير وهو يحمل بإحدى يديه ساطوراً وباليد الأخرى أسداً بولغ في صغر حجمه للتأكيد على ضخامة البطل (١) .

أما أنكيبدو فكثيراً ما مثل في الفن بهيئة مركبة من رأس و صدر بشريين وقسمه الأسفل (ولا سيما الخلفي) بهيئة ثور ، وهو يلبس لباس القرون في رأسه الذي قلنا أنه كان علامة الإلهية وشارة القدسية .

أجزاء الملحمة وأصولها ومصادرها :

أما عن أجزاء الملحمة وأصولها ومصادرها فلا مجال للإطناب في هذا الموضوع الذي تناولته بحوث الباحثين بالتفصيل والاستفاضة لذلك نكتفي هنا ببعض الملاحظات الأساسية فنقول : بالرغم من أن الملحمة قد جاءتنا من ناحية الفن القصصي على هيئة وحدة متكاملة ولا سيما في آخر نشرة أو نسخة لها من القرن السابع ق . م (وهي النسخة الآشورية من خزانة الملك آشور بانبيال) ، إلا أنها كانت كما سيتضح من نصوص ترجمتها وتسلسل حوادثها ، أقرب ما تكون إلى

=====

١- أنظر حول ذلك

1- G. Conteneau , L'Art de l'Asie Occidentale ancienne (Paris, 1927 , P.I XXXVIII)

2- Delaporte , Catalogue des Cylinders Orientaux Musee du Louver , II (1923) pl No 72 . 31 , pl 74 , Nos I , 4

وأحدث بحث في الموضوع بـ :

3- A.Amiet , "Le Probleme de la Représentation de Gilgamesh dans l' Art "

المنشور في تقرير المؤتمر السابع للمستشرقين (باريس ١٩٥٨)

الجمع الأدبي ، أي أنها مؤلفة من عدة قطع وأجزاء تتعلق بحوادث وأعمال مختلفة . فمن هذه الأجزاء المهمة القصص الدائرة على أعمال جلجامش البطولية ومغامراته مع صديقه وصاحبه أنكيديو . وقسم آخر مهم يدور على رواية الطوفان الذي يؤلف بنفسه موضوعاً مستقلاً من الناحية الفنية . وقد تضمن ذلك اللوح الحادي عشر (وهو أطول لوح من المجموعة) . وهناك قسم ثالث تضمنه اللوح الثاني عشر ، الذي يكون بنفسه قصة لا علاقة لها بسياق حوادث الملحمة ولا بموضوعها العام ، إذ أنها تدور على وصف العالم الأسفل أو عالم الأرواح كما شاهده " أنكيديو " صاحب جلجامش . ومما يقال بوجه الإجمال عن التأليف الفني أن المؤلف أو المؤلفين وقفوا في جمع الجزئين الأولين ، أي الأعمال البطولية والمغامرات المنسوبة إلى البطل جلجامش وصاحبه أنكيديو ، وحوادث الطوفان الشهيرة مما جعل الملحمة كلها تبدو وكأنها وحدة فنية مطردة على الرغم من أن المؤلف أو المؤلفين استعملوا ما يشاكل طريقة القصص المتبعة في ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة في ربط قصة بأخرى . أما القسم الثالث الذي قلنا أنه يدور على وصف عالم الأرواح كما رآه انكيديو فليست له أية صلة بموضوع الرواية ، على ما المحنا ولذلك نجد كل المترجمين للمحمة لا يدرجوا فيها ولكننا لخصناه في هذه الترجمة العربية . أما عن أصول حوادث هذه اللغة المؤلفة باللغة الأكديّة (البابلية) فقد أبان البحث الحديث أنها ترجع إلى مصادر سومرية (١) وقد وجدت بالفعل قطع أدبية سومرية ، منها ما يدور على أعمال جلجامش وأنكيديو وعن العفرية خمبابا ، وقصة حب عشتار لجلجامش وأنكيديو وقصة الثور السماوي ، أما رواية الطوفان فقد وجدت لها جملة نصوص سومرية ووجد للوح الثاني عشر أصل سومري يكاد يكون النص الأكدي ترجمة حرفية له .

١- حول هذه الأصول السومرية راجع أحدث المراجع

1- C . N . Gadd , Revue d'Assyriologie , XXXI (1933) 126 ff

2- S . N . Karmer , From the Tablets of Sumer (1956)

3- S . N . Karmer , Journal of American Oriental Society , LXIV (1944)

L . Matoush " Die Entstehung des Gilgamesh Epos " in Das allertum , 4 , (1958) .
195 ff

وللمؤلف نفسه بحث منشور في تقرير المؤتمر السابع (باريس ١٩٥٨) بعنوان :

" Les Rapports enter la version Sumerienne et la version Akkadienne d l'Epopée de Gilgamesh

ولكن على الرغم من استناد كثير من حوادث الملحمة إلى ما يضاهاها في القصص السومري فالمتفق عليه لدى النقاد أن الملحمة تعد نتاجاً أدبياً بابلياً صرفاً وإن هذا النتاج ، على ما بينا سابقاً ، يضعه الباحثون في مصاف الآداب العالمية الراقية ، كما أنهم مجمعون تقريباً على أن زمن تدوين الملحمة يرقى إلى مطلع الألف الثاني ق . م ، وهو عهد يعرف في تاريخ حضارة وادي الرافدين باسم العهد البابلي القديم (٢٠٠٠ – ١٥٠٠ ق . م) وتميز بحركة كبرى في التأليف والجمع والتصنيف والترجمة في شتى صنوف العلوم والمعارف والآداب .

اكتشاف ألواح الملحمة وترجماتها المختلفة :

لقد سبق أن نوهنا بأن آخر أو أحدث نسخ لنصوص الملحمة ، أي أحدث نشرة لها ، قد جاءتنا من القرن السابع ق . م ، وهو العهد الذي يرجع إليه زمن القسم الأعظم من نصوصها . ونعني بهذه النشرة الألواح التي عثر عليها في خزانة كتب الملك الأشوري آشور بانبيال (٦٦٨ – ٦٢٦ ق . م) وكانت تتألف وهي في هذه النشرة الأخيرة من اثني عشر لوحاً ، كل منها تقريباً مقسم إلى ستة حقول ويتضمن كل لوح منها نحو (٣٠٠) سطر ، باستثناء اللوح الثاني عشر الذي يتضمن نحو نصف هذا المقدر ، والذي قلنا أنه لا صلة له بحوادث الملحمة فلا يترجم عادة مع نصوصها . وقد جاءت الملحمة في هذه النشرة الأخيرة وهي تحمل عنواناً مقتبساً من أول عبارة فيها أي " هو الذي رأى كل شيء " (١) كما يوضع في نهاية كل لوح تذييل بختم المكتبة الملكية وبالعنوان السلسلة العام (٢) . ويرجع زمن اكتشاف هذه الألواح إلى عهد الاستكشافات الأثرية التي قام بها هواة الآثار وقناصل الدول الأجنبية في مدن العراق القديم الشمالية في منتصف القرن التاسع عشر . ويرجع الفضل في اكتشاف هذه الألواح إلى المنقبين الهاوين القدماء وهم " اوستن هنري ليرد " و " هرمر رسام " و " جورج سمث " (١٨٣٩ – ١٨٥٣) في خزانة كتب

=====

١- وبالنص البابلي " شا نقبا امورو " (Sha naqba imuru) وعبارة " اشكار جلامش " أي " سلسلة جلامش " وهو العنوان الذي كتبناه بالخط المسماري لهذه الترجمة وقد اعتاد كتاب العراق الأقدمون أن يعنونوا المواضيع الأدبية بأول بيت أو عبارة في القطعة الأدبية مثل عنوان أسطورة الخليقة البابلية الشهيرة المأخوذ من أول عبارة فيها أي : " حينما في العلى " وبالنص البابلي " اينما ايليش "

٢- ولناخذ تذييل اللوح التاسع على سبيل المثال

أ- اللوح التاسع من " هو الذي رأى كل شيء " من سلسلة جلامش

ب - قصر آشور بانبيال

ج - ملك العالم ، ملك بلاد آشور

الملك الآشوري السالف الذكر في نينوى ، وجد قسم منها في خزانة كتب الإله " نبو " (إله المعرفة والحكمة ٩ الملحقة بمعبد في نينوى . ولكن لم يفتن إلى أهمية هذا الاكتشاف إلا في عام ١٨٧٢ حين أعلن " جورج سميث " اكتشافه لخبر الطوفان في محاضرة مثيرة ألقاها على الجمعية الأثرية للتوراة في لندن (١) فأثارت ضجة وحماسة بالغين في العالم مما حدا بجريدة " الديلي تلغراف " أن تتبرع بألف جنيه لينفقها جورج سميث في التنقيب في خرائب نينوى . وقد نجح فعلاً في العثور على أجزاء أخرى مكملة ونشر بحوثه قبل وفاته المبكرة في عام ١٨٧٦ (وهو في السادسة من عمره) . وقد أخذت التحريات الأثرية تزداد منذ نهاية القرن التاسع عشر وتتقدم في ضبط أساليبها وطرقها العلمية كما ازدادت معرفة الباحثين بالخط المسماري واللغات المدونة به وتمت اكتشافات مهمة في حضارة وادي الرافدين من بينها الحصول على نسخ من ملحمة جلجامش باللغة البابلية ثبت أنها أقدم عهداً من الألواح التي وجدت في نينوى ، إذ يرجع معظمها إلى الألف الثاني ق . م نذكر منها : (٢) :

١- في نهاية القرن التاسع عشر اقتنى العالم الأثري " برونو مايسنر " كسرة كبيرة من باعة الآثار في بغداد ثبت من دلالة نصوصها أن مصدرها من المدينة القديمة " سبار " (أبو حبة الآن قرب المحمودية) ، كما أن زمنها يرجع إلى العهد البابلي القديم ، وإنها تعود إلى نصوص اللوح العاشر .

٢- وفي عام ١٩١٤ اقتنت جامعة بنسلفانيا (في أمريكا) بالشراء من باعة الآثار أيضاً لوحاً كبيراً كاملاً تقريباً ويحتوي على ستة حقول من الكتابة ثبت أنه اللوح الثاني وإن زمنه من العهد البابلي القديم أيضاً .

٣- واقتنت الجامعة نفسها في حدود ذلك الزمن أيضاً لوحاً آخر هو الأصل البابلي القديم للوح الثالث .

٤- وقد سبق للمنقبين الألمان في آشور وهي قلعة الشرقات الآن (قبيل ١٩١٤) أن وجدوا كسرة كبيرة تعود إلى نصوص اللوح السادس .

=====

١- انظر نص ذلك في مجلة :

The Transaction of the society of Biblical Archaeology , Vol . II (1873) , 213 ff

٢- خير مرجع ذكر هذه النسخ وبين أزمان اكتشافها ومواقع العثور عليها ومحلات حفظها الآن والبحوث التي نشرت عنها هو : C.Contenau , L'Épopée de Gilgamesh (1939) , 21 ff

٥- وفي عام ١٩٢٨ وجد المنقبون الألمان في الوركاء قطعتين كبيرتين تعودان إلى نصوص اللوح الرابع .

٦- ووجد في العاصمة الحثية " حاتو شاش " (بوغاز كوى الآن) بعض أجزاء مما يعود إلى اللوح الخامس . كما وجدت ترجمات إلى اللغة الحثية وأجزاء مترجمة إلى اللغة الحورية .

٧- ووجدت كسرتان من تنقيبات مديرية الآثار في تل حرمل (١٩٤٥ - ١٩٥٩) يعود نصها إلى مادة الملحمة (١) .

٨- وحديثاً (١٩٥١) وجدت نصوص من الملحمة في الموضع القديم المُسمى " سلطان تبه " ، في جنوبي تركية (قرب حران) (٢)

٩- جملة كسر من العهد البابلي الأخير (٣)

١٠ - وآخر اكتشاف مهم كان العثور لأول مرة على كسرة تعود إلى الملحمة في موضع في فلسطين يسمى " مجدو " (وعهدها من حدود القرن الرابع عشر ق . م) (٤) ووجه الأهمية في هذا الاكتشاف هو تحقيق الاتصال المباشر بين مآثر العراق القديم وبين العبرانيين . ومع هذه النصوص الكثيرة التي جاءت إلينا فلا يزال هناك كثير من الخروم في عدة مواضع ولكن مع هذا يمكن القول أن الملحمة الآن تعتبر كاملة في معظم أجزائها . ومنذ أن نشر " جورج سميث " ترجمته لبعض الأجزاء الخاصة برواية الطوفان (في عام ١٨٧٣) أخذت البحوث تترى وتعددت الترجمات لهذه الملحمة الخالدة ولا تزال الدراسات عنها مستمرة إلى هذا التاريخ . وإذا لم يكن في المقدور إيراد هذه الدراسات والترجمات متسلسلة فإننا نكتفي هنا بذكر أمهات الترجمات في اللغات العالمية المختلفة . وسيجد القارئ فيها المراجع إلى البحوث السابقة والتعليقات اللغوية والتاريخية المهمة :

=====

١- انظر مجلة " سومر " المجلد الثالث عشر (١٩٥٧) وسجلهما في سجل المتحف العراقي (٥٢٢٦٥) و (٥٢٧٥٠) والمحتمل أن الكسرة الأولى تعود إلى اللوح السادس .

٢- O.R Gurney in the Journal of Cuneiform Studies (1954)

٣- انظر D.J Wiseman " Additional Neo-Bablonian Gilgamesh Fragments

المنشور في تقرير المؤتمر السابع (باريس ١٩٥٨) المشار إليه سابقاً

٤- انظر : Th.Bauer in JENS, XVI (1957)

1- Erich Ebeling in Gressmann's All Orientalische Texts zum Alten Testament (1926)

2- C. Thompson , The Epic of Gilgamesh (London , 1928)

أحسن نشرة للنصوص المسمارية :

3- C.Thompson , The Epic of Gilgamesh (1930)

أحسن ترجمة إلى الألمانية :

4- Albert Scholt , Das Gilgamesh – Epos (Leipzig 1934)

وتعليقاته اللغوية في مجلة

Zeitschrift fur Assyriologie , XLII (1933) , 92 . f

5- G. Contenau , L'Epopée de Gilgamesh (1939)

6- Alexander Heidel , The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels (1949)

٧- ترجمة منقحة حديثة لرقم ٤ قام بها العالم الآثاري Von Soden في عام ١٩٥٨ بعد وفاة المؤلف . وقد استفدنا من هذه الترجمة فوائد جلية في هذه الترجمة العربية .

8- Speiser in James . B Pritchard , The Ancient Near Eastern Texts (1950) 2nd ed (1955)

إلى اللغة الجكية :

9- L . Matoush , Epos Gilgameshovi (Praha , 1958)

١٠- ترجمة بتصريف وتحليل :

N.K . Sandars , The Epic of Gilgamesh (Penguin Books , 1960)

١١- آخر ترجمة لها في عام ١٩٦٢ إلى الروسية :

J.M Djakanoff , Epos o Gilgamese

وإتماماً للفائدة نذكر ترجمات حديثة أخرى إلى لغات عالمية أخرى غير ما ذكرنا :

١- اللغة الدينمركية

O . E Ravn , Babylonske religiose Tekster (Copenhagen , 1953)

٢- اللغة الفنلندية :

Salonen , Gilgamesh-Epos (Helsinki , 1943)

٣- اللغة الجورجية :

M. Tserethli , Gilgameshiani (Istanbul , 1924)

٤- الإيطالية :

G.Furlani Miti babilonesi e assiri (Florence , 1958)

٥- الهولندية (أحدث ترجمة إلى هذه اللغة) :

H. Van Kruiningen , Zondvloed en Levenskruid (Amsterdam , 1955) .

٦- اللغة العبرية ترجمة : S Tschernickowsky

بعنوان " عليلوث جلجامش "

- ولعل أحدث ثبت في الدراسات والبحوث المختلفة عن جلجامش وقصصه والنصوص الأصلية ومختلف الترجمات إلى اللغات العالمية يجده القارئ المتتبع في تقرير المؤتمر السابع للمستشرقين من جماعة ذكرى " ثورو دانجان " البحثة الشهير ، المنعقد في باريس ١٩٥٨ وعنوان التقرير الكامل :

Gilgamesh et sa legende

Etude recueillies a l'occasion de la VII Rencontre Assyriologique Internationale (Paris , 1958) , Paris 1960 , Par Garelli .

هذه الترجمة العربية :

أن ما اثبتناه من الترجمات الكثيرة لهذه الملحمة يقتصر ، كما نوهنا ، على أشهر وأحدث تراجم عالمية ظهرت حتى عام ١٩٦٢ . وإذا أضفنا إلى تلك الترجمات المختارة إلى معظم اللغات العالمية (١) ما استشهدنا به من الدراسات والبحوث الكثيرة المنشورة في أمهات المحلات العلمية فإن القارئ لاشك سيدرك المكانة العالمية الخطيرة التي تشغلها ملحمة العراق الخالدة والشهرة الواسعة التي تتمتع بها في جميع أنحاء العالم المتمدن ، مما جعلها تضاهي شوامخ المآثر الأدبية العالمية . وإذا قد نالت هذه المكانة في العالم المتمدن فأخلق بها أن يطلع عليها أبناء البلد الذي أنتجها لتضاف إلى تلك المفاخر الكثيرة التي تميز تراث هذا البلد ، ذلك التراث الذي أثرى الحضارة البشرية بإنتاجه الحضاري وإبداعاته الخلاقة فأسهم في التقدم البشري منذ أقدم عهود التاريخ وفي مختلف أدواره الحضارية . ومع أنه ظهرت للملحمة ترجمة عربية قبل نحو اثنتي عشر سنة فإنني لم أدرجها في ثبوت الترجمات العالمية بل أجلت الإشارة إليها لإفراد لها ملاحظات خاصة في الكلام على هذه الترجمة العربية الحديثة . فقد سبق لي أن اشتركت بترجمتها إلى العربية مع زميلي السيد بشير فرنسيس المفتش العام في مديرية الآثار العامة وقد نشرناها في مجلة " سومر " عام ١٩٥٠ معتمدين في ترجمتها بالدرجة الأولى على ترجمة انجليزية كانت إحدى ترجمة يومذاك (٢) وكانت ترجمة حرفية تقريباً اقتصرت على مطابقتها لتلك الترجمة الإنجليزية سطرأ بسطر ولم يتسع الوقت لمقابلتها بالنصوص الأصلية إلا في موطن قليلة ولم يراع في نشرها على أنها قصة متسلسلة مطردة .

ومنذ ذلك التاريخ أخذت تظهر لها ترجمات أخرى كما نشرت عنها دراسات وبحوث كثيرة وتوفر لي الوقت أن أرجع إلى النصوص الأصلية الأكديّة فأقارنها بالترجمات المختلفة . وقد انتهت فرصة تدريسي للنصوص المسمارية لطلاب قسم الآثار في كلية الآداب منذ عام ١٩٥٢ وصرت استقي منها بعض النصوص اللغوية

=====

١- راجع الثبوت المختار بالترجمات العالمية تجد أنها قد ترجمت إلى اللغات العالمية الشائعة وأهمها : الألمانية والإنجليزية والفرنسية بعدة ترجمات في أزمان مختلفة وإلى الروسية والإيطالية والجكية والهولندية والدنمركية والفنلندية والجورجية وحتى إلى العبرية الحديثة . ولا نعلم هل ترجمت إلى لغات الشرق الأقصى لأن ما بين يدينا من البيلوغرافيات الحديثة لا تذكر شيئاً من ذلك .

٢- وهي Alexander Heidel , The Gilgamesh Epic (1946)

وكذلك ترجمتها في (1950) Ancient Near Eastern Texts

لتمارين الطلاب وتجمعت لي مادة كافية لإعادة ترجمتها إلى العربية وأخذت الفكرة تتبلور بالتدريج وحانت فرصة إخراجها إلى حيز العمل منذ العام الفائت باقتراح من صديقي الفاضل الدكتور أكرم فاضل بأن أقدمها إلى وزارة الإرشاد لتتشر ضمن سلسلة الثقافة الشعبية التي تصدرها تلك الوزارة وكنت أفكر أن تنشر ضمن نشرات مديرية الآثار العامة ولكنني فضلت السبيل الأول بالنظر لتوفر الإمكانيات المادية لدى وزارة الإرشاد في ضمان سعة انتشارها وتعميم فائدتها في مجال ومدى واسعين .

وها إنني مغتبط أن أقدم هذه الترجمة العربية إلى قراء العربية في العراق وفي سائر الوطن العربي الأكبر مسجلاً شكري وامتناني لوزارة الإرشاد وعلى رأسها سيادة الوزير الذي حظيت هذه الترجمة من لدنه بالقبول الحسن والتقدير .

ونختم هذه الملاحظات بذكر بعض الأمور الخاصة بأسلوب الترجمة الذي سرت عليه في نقل الملحمة من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية . فقبل أن تظهر هذه الترجمة بشكلها الراهن الذي نقدمه إلى القراء كانت الفكرة أن تقدم الملحمة إلى قراء العربية وهي مترجمة بتصرف بدون التزام النقل سطرًا سطرًا ولكنني وجدت أن هذه الطريقة مع إيفائها بعرض حوادث الملحمة ووقائعها ، تفقدها روحها وأفكارها وتعابيرها الأصلية كما نظمها الشعراء القصاصون في العراق القديم قبل ما يزيد على أربعة آلاف عام ، مما يلقي ضوءاً كاشفاً على أقدم أساليب فكرية أدبية في العالم : فالتزمت الأسلوب الآخر وهو ترجمة الملحمة كما هي في الأصل سطرًا بسطر بأسلوب عربي دقيق يقربها بقدر المستطاع إلى أصلها البابلي مع التقييد بالترام التعابير الأدبية ، على أنني تحاشيت ترقيم الأسطر وأدمجت في بعض الأحيان سطرين بسطر واحد لترابط معناهما .

وهذه الترجمة التي حاولت فيها دقة الأداء ، لا أقول أنها تؤدي المعنى الأدبي الأصلي ، شأنها في ذلك شأن الترجمات الأخرى للأدب الشهيرة من لغة إلى أخرى ، إلا أنني لا أتخرج إذا أدعيت بأن هذه الترجمة العربية هي الترجمة الوحيدة من بين التراجم العالمية الشهيرة التي تقارب الأصل البابلي بالنظر إلى وشائج القربى الوثيقة بين اللغتين العربية والبابلية (1) ، ولأنني ألزمت نفسي بإبقاء معظم الكلمات البابلية الأصلية المشتركة مع قريبتها العربية ولم أحد عن هذا السبيل إلا في بعض كلمات عربية مضاهية للكلمات البابلية اضطررت لتركها لحوشيتها وبطلان

=====

١- وقد استنسخها كل من السيدين حازم النجفي وخالد الأعظمي الموظفين في مديرية الآثار

استعمالها في الأساليب العربية المألوفة . والواقع أنني أدت أن ألق ثبنا بالكلمات المتشابهة الواردة في الملحمة والتي هي من أصل سامي واحد في البابلية والعربية . ولكنني وجدت أن ذلك يأخذ بي إلى بحوث وقضايا لغوية فنية متشعبة خارجة عن موضوع الملحمة في الوقت الحاضر وإنما هي تؤلف بحثاً خاصاً يستحق أن ينشر كموضوع مستقل . ولذلك عدلت عن ذلك واكتفيت ، لاستمتاع القراء ، باختيار بعض القطع بخطها المسماري (١) وتعريبها بالحروف اللاتينية (أي نقل أصواتها بالحروف اللاتينية) ليقارن القراء بين ترجمتها العربية وأصوات كلماتها في البابلية . وإلى هذه الميزة التي تمتاز بها هذه الترجمة ، أي مقاربتها إلى الأصل البابلي بالرجوع إلى النصوص الأصلية كما بينا ، فإنها جاءت آخر ترجمة لها إلى حال التاريخ . والميزة في ذلك أنني اعتمدت على أحدث وأهم ترجمات عالمية موثوقة لمشاهير الاختصاصيين (٢) فاستفدت من المقارنة بين أساليب أدائها المختلفة ولا سيما في المواطن المشكوك فيها .

ومع أن خطة هذه الترجمة كانت على أساس التقليل من تحميلها بالملاحظات والهوامش إلا أنني لم أستطع أن أتجاهى إثبات بعض الملاحظات والتعليقات الضرورية ودرج بعض التعاريف لكثير من الأعلام الواردة بالنظر إلى غرابتها على غالبية قراء العربية .

وأود أن أنبه القراء إلى أن تقسيم الملحمة إلى الفصول الأربعة التي وضعتها لم يرد بالأصل وإنما حاولت أن أبسط حوادثها إلى القراء بتصنيف تلك الحوادث إلى

١- وقد استنسخها كل من السيدين حازم النجفي وخالد الاعظمي الموظفين في مديرية الآثار

٢- وأخص بالذكر منها ما يأتي :

1- Alexander Heidel

وهي المرقمة برقم ٦ في الثب الذي أوردناه عن التراجم العالمية الشهيرة

2- E . Speiser

(تحت الرقم ٨ من ذلك الثب)

3- A.Schott , Von Soden

(تحت الرقم ٧ من الثب)

هذا بالإضافة إلى الرجوع إلى البحوث الجديدة والتعليقات اللغوية التي أشرنا إليها في هوامش الترجمة .

فصول كشأن الروايات الحديثة . أما في الأصل فإن الملحمة جاءت ، كما قدمنا ،
بهئية ألواح متسلسلة .

وفي ختام هذه الملاحظات أضيف تنبيها آخر هو أنه على الرغم من النواقص
والخروم الموجودة في الألواح الأصلية فإن معظم مادة الملحمة كامل الآن. ومع أن
هذه المادة التي جاءت إلينا إلى حال التاريخ تقارب زهاء ثلاثة أرباع أو ثلثي
الأصل الذي ينبغي أن تكون عليه إلا أن هذا الباقي يمثل تقريبا القسم الأعظم والأهم
من حوادث الرواية ووقائعها . وإذا استثنينا بعض المواطن القليلة التي لا تزال
غامضة المعنى والمغزى وغير متفق على ترجمتها فإن ذلك القسم الأعظم مما
جاءنا سالماً تكاد تتفق على ترجمته جميع الترجمات العالمية الحديثة مع اختلافات
غير أساسية في معاني بعض العبارات والكلمات والاجتهادات في إكمال الخروم
والنواقص الموجودة في الألواح الأصلية .

ملحمة جلجامش

الفصل الأول

جلجامش* وأنكيرو

١- تلفظ الجيم في جلجامش " كافا " فارسية

الروح الأول :

هو الذي رأى كل شيء فغني بذكره يا بلادي (١)
وهو الذي خبر جميع الأشياء وأفاد من عبرها (٢)
وهو الحكيم العارف بكل شيء
لقد أبصر الأسرار وعرف الخفايا المكتومة
وجاء بأنباء الأيام مما قبل الطوفان
لقد أوغل في الأسفار البعيدة حتى حل به الضنى والتعب
فنقش في نصب من الحجر كل ما عاناه وما خبره

=====

١- بالنظر لانخرام بعض الكلمات فقد تُرجم هذا السطر بأشكال أخرى أهمها وأحدثها :

أ - هو الذي رأى كل شيء إلى أقاصي الأرض

أو ب - لأخبرن بلادي بمن رأى الأعماق

٢- ومثل هذا يقال بالنسبة للسطر الثاني حيث يترجم بصور مختلفة أيضاً :

أ- هو الذي عرف جميع الأرضين ، وهو الذي أخصه بمديحي

أو ب- وعمن عرف البحار ساقص الخبر كاملاً

بنى أسوار " أوروك " (١) ، وحرّم " أي - أنا " المقدس ، والمستودع الطاهر
فانظر إلى سورّه الخارجى تجد شرفاته تتألق كالنحاس
وأنعم النظر فى سورّه الداخلى الذى لا يماثله شيء
واستلم اسكفته الحجرية الموجودة منذ القدم (٢)
اقترّب من " أي - أنا " ، مسكن عشتار
الذى لا يماثله صنع ملك من الآتين ولا إنسان
أعل فوق أسور " أوروك " ، وامش عليها
تفحص أسس قواعدها وأجر بنائها
وتيقن أليس بناؤها بالأجر المفخور ؟

=====

١- " أوروك " المدينة السومرية الشهيرة التى حافظت على اسمها القديم فى العهد العربى - الإسلامى باسم
الوركاء (الوركاء) . وورد ذكرها فى التوراة بصيغة " أرك " . وفى المصادر الإغريقية باسم " أورخوى " .
تقع خرائبها الآن على نحو ٢٢٠ كم جنوب شرقى بغداد . وعلى مسافة قصيرة إلى شرق مجرى الفرات
الحالى ، ويمر منها شط النيل المندرس ، الذى كان مجرى الفرات القديم . وخرائبها واسعة ، وهى مسورة
وشكلها شبه دائرى ومحيطها نحو ١٧٢ ٨ كم . وقد اشتهرت فى تاريخ العراق القديم وأظهرت التحريات
الحديثة التى أجرتها فيها البعثة الألمانية (منذ عام ١٩١٣ إلى عام ١٩٢٨ - ١٩٣٩) ومن عام ١٩٥٣ إلى
الآن) نتائج باهرة فى معرفة أطوار حضارة وادي الرافدين . و" أي - أنا " الوارد فى الملحمة أشهر معابد
الوركاء المقدسة ، وقد خصص لعبادة الإله " أنو " والآلهة " عشتار " (إنانا بالسومرية) .

٢- وفى بعض التراجم " المجلوبة من بلاد قاصية " وقد استعلمنا كلمة الاسكفة العربية المطابقة للكلمة
البابلية بدلاً من العتبة على الرغم من أن معنى الاسكفة فى العربية تعنى فى الأغلب العتبة العليا من الباب .

وهلا وضع " الحكماء السبعة " أسسها (١)

.....

بعد أن خلق جلجامش ، وأحسن الإله العظيم خلقه

حباؤه " شمش " (٢) السماوي بالحسن ، وخصه " أدد " (٣) بالبطولة

جعل الآلهة العظام صورة جلجامش تامة كاملة

كان طوله أحد عشر ذراعاً و عرض صدره تسعة أشبار

ثلثان منه إله ، وثلثه الباقي بشر

وهيئة جسمه لا نظير لها

وفتك سلاحه لا يصده شيء (لا شيء يماثله)

وعلى ضربات الطبل تستيقظ رعيته (٤)

لازم أبطال " أوروك " حجراتهم متذمرين شاكين :

لم يترك جلجامش ابناً لأبيه

ولم تنقطع مظالمه عن الناس ليل نهار

ولكن جلجامش هو راعي " أوروك " ، السور والحمى

=====

١- " الحكماء السبعة " بحسب مآثر العراقيين القدماء ، هم الذين جاءوا بأصول العمران في أقدم سبع مدن في البلاد

٢- الإله " شمش " إله الشمس ، وكان عندهم إله العدل والشرائع

٣- الإله " أدد " إله الرعود والعواصف والأمطار

٤- المرجح أن هذا يشير إلى استدعاء جلجامش لرعيته بضرب الطبل لاستخدامهم في عمل السخرة القسري ، وفي ترجمة أخرى " أصحابه " بدل " رعيته "

إنه راعينا : قوي وجميل وحكيم (١)
لم يترك جلجامش عذراء لحبيبها (٢) ، ولا ابنة المقاتل ولا خطيبة البطل .
وأخيراً سمع الآلهة شكواهم (٣)
فاستدعى آلهة السماء رب (٤) " أوروك " (وقالوا له) :
" ألم تخلق أنت هذا الوحش الجبار ؟
الذي لا يضاهي فتك أسلحته سلاح
وكثيراً ما تستيقظ رعيته على ضربات الطبل
ولم يترك جلجامش ابناً لأبيه
وما فتئ يضطهد الناس ليل نهار
على أنه هو راعي " أوروك " ، السور والحمى
هو راعيهم ولكنه يضطهدهم ، وهو قوي وجميل وحكيم
إن جلجامش لم يترك عذراء لحبيبها ، ولا ابنة المقاتل ولا خطيبة البطل "

=====

١- وفي ترجمة أخرى لهذين السطرين : " أكون جلجامش هذا ، راعي " أوروك " السور والحمى " ؟ "
أهذا هو راعينا القوي الجميل الحكيم " ؟

٢- وفي ترجمة " لأمها "

٣- في بعض الروايات " شكواهن " ولعل تفسير ذلك بالإشارة إلى شكوى النساء إلى الآلهة من مظالم
جلجامش "

حول هذا الموضوع انظر :

O , Ravn , The Passage on Gilgamesh and the Wives of Uruk " in Bibliotheca
Orientalis X (1953) , 12 ff

٤- أي الإله " أنو " كبير آلهة العراق القديم ، وكان مركز عبادته في مدينة " الوركاء " حيث خصص له
معبد عبدت فيه معه الآلهة عشتار ، وهو معبد " أي - أنا "

ولما استمع " أنو " الجليل إلى شكواهم ، دعوا " أرورو " (١) العظيمة وقالوا لها:
" يا أرورو ، أنت التي خلقت هذا الرجل بأمر " أنليل " فاخلقي الآن غريماً له يضارعه في قوة القلب والعزم
وليكونا في صراع مستديم لتنال أوروك السلام والراحة
ولما أن سمعت " أرورو " ذلك
تصورت في لبها مثيلاً (صورة) " لأنو " و
غسلت " أرورو " يديها ، وأخذت قبضة طين ورمتها في البرية
خلقت في البرية " أنكيديو " الصنديد ، نسل " نورتا " (٢) القوي
يكسو جسمه الشعر ، وشعر رأسه كشعر المرأة
جدائل شعر رأسه كشعر " نصابا " (٣)
لا يعرف الناس ولا البلاد ، ولباس جسمه مثل " سموقان " (٤)
ومع الظباء يأكل العشب ، ويسقى مع الحيوان من موارد الماء
ويطيب لبه عند ضجيج الحيوان في مورد الماء
(فحدث) أن صياداً قانصاً التقى به عند مورد الماء
رآه الصياد فامتقع وجهه من الخوف
وأبصره يوماً ثانياً وثالثاً عند سقي الماء
لقد دخل (أنكيديو) وألفه من الحيوان إلى مرابع صيده
فذعر وخاف ، وثلت جوارحه
خفق قلبه ، وامتقع لونه
دخل الرعب قلبه ، وصار وجهه كمن أنكهه السفر البعيد .
(جاء) الصياد إلى أبيه ففتح فاه وقال له :
" يا أبي ! ، لقد رأيتُ رجلاً عجيباً قد انحدر من المرتفعات (٥)
أنه أقوى من في البلاد ، وذو بأس شديد
وهو في شدة بأسه مثل عزم أنو (٦)
إنه يجوب السهوب والتلال ويأكل العشب
ويرعى الكلاً مع حيوان البر ويسقى معها عند مورد الماء
لقد ذعرت منه فلم أقو على الاقتراب منه
لقد ملأ الآبار (الأوجار) التي حفرتها
وقطع شباكي التي نصبت
فجعل الصيد وحيوان البر تفلت من يدي
وحرمني من صيد البر "
ففتح أبوه فاه وخاطب (ابنه) الصياد قائلاً :

١- احدى الآلهات الخالقات

٢- نورتا ، إله الحرب

٣- إلهة الغلة والحبوب

٤- سموقان ، إله الماشية

٥- في بعض الترجمات " الجبال " ومهما كان ، فالمقصود بالجبال ، إن صحت الترجمة ، المرتفعات والتلال .

٦- وفي ترجمات أخرى " جند أنو " و " جند السماء " و " شهاب السماء " .

" يا بني ، يعيش في أوروك جلجامش
(الذي) لا مثيل له في البأس والقوة
وهو في شدة بأسه مثل عزم " أنو " (١)
فاذهب إلى أوروك - توجه إليها
وأنبئ جلجامش عن بأس هذا الرجل
وليعطك بغياً تصحبها معك
ودعها تغلبه وتروضه
وحينما يأتي ليسقي الحيوان من مورد الماء
دعها تخلع ثيابها وتكشف عن مفاتن جسمها
فإذا ما رآها فإنه سينجذب إليها
وعندئذ ستنكره حيواناته التي شبت معه في البرية
فوعى الصياد مشورة أبيه ، وقصد جلجامش
أغذ السير في الطريق ووصل إلى أوروك
مثل أمام جلجامش وخاطبه قائلاً :
" هناك رجل عجيب انحدر من المرتفعات (٢)
إنه أقوى من في البلاد ، وذو بأس شديد
وهو في شدة بأسه مثل عزم " أنو " (٣)
إنه يجوب السهوب ويأكل العشب
ويرعى الكلاً مع حيوان البر ، ويسقى معها عند مورد الماء
لقد ذعرت منه فلم أقو على الاقتراب منه
لقد ملأ الآبار التي حفرتها
ومزق شباكي التي نصبتُ
فجعل الصيد وحيوان البر تفلت من يدي وحرمني من القنص في البرية
فقال جلجامش له ، قال للصياد :
" انطلق يا صيادي واصطحب معك بغياً
وحينما يأتي إلى مورد الماء لسقي الحيوان
دعها تخلع ثيابها وتكشف عن مفاتن جسمها
فإذا ما رآها اقترب منها وانجذب إليها
وعندئذ ستنكره حيواناته التي ربيت معه في البرية "
فانطلق الصياد واصطحب معه بغياً
سارا في الطريق قدما
وفي اليوم الثالث بلغا الموضع المقصود
جلس الصياد والبغي في ذلك المكان
مكثا يوماً ويوماً ثانياً عند مورد الماء

١- وفي ترجمات أخرى " جند أنو " و " جند السماء " و " شهاب السماء " .
٢- وفي ترجمات أخرى " جند أنو " و " جند السماء " و " شهاب السماء " .
٣- وفي ترجمات أخرى " جند أنو " و " جند السماء " و " شهاب السماء " .

جاء الحيوان إلى المورد ليسقى الماء
قصدت حيوانات البر الماء ففرحت وطابت قلوبها
أما أنكيديو الذي كان مولده في التلال (السهوب)
والذي يأكل العشب مع الطباء ، ويرد الماء مع الحيوان
ويفرح لبه مع حيوان البر عند الماء
فإن البغي رأته ، رأت الرجل الوحش
أبصرت المارد الآتي من أعماق البراري (السهوب)
(فأسر إليها الصياد) : " هذا هو يا بغي فاكشفي عن نهديك
اكشفي عن عورتك ^(١) لكي يتمتع بمفاتن جسك
لا تحجمي ، بل راوديه وابعثي فيه الهيام
فإنه متى رآك وقع في حبالك
انضي عنك ثيابك لينجذب إليك
علمي الوحش الغر فن (وظيفة) المرأة
ستكره حيواناته التي ربيت معه في البرية
إذا انعطف إليك وتعلق بك "
فأسفرت البغي عن صدرها وكشفت عن عورتها ^(١)
فتمتع بمفاتن جسمها
نضت ثيابها فوقع عليها
وعلمت الوحش الغر فن المرأة ، فانجذب إليها وتعلق بها
ولبت أنكيديو يتصل بالبغي ستة أيام وسبعة ليال
وبعد أن قضى وطره منها
وجه وجهه إلى ألفه من حيوان البر
فما أن رأت الطباء أنكيديو حتى ولت عنه هاربة
وهرب من قربه حيوان البر
هم أنكيديو أن يلحق بها ولكن شل جسمه
لقد خذلته ركبته لما أراد اللحاق بحيواناته
أضحى أنكيديو خائر القوى لا يستطيع أن يعدو كما كان يفعل من قبل
ولكنه صار فطناً واسع الحس والفهم
رجع وقعد عند قدمي البغي
وصار يطيل النظر إلى وجهها ولما كلمته أصاخ بالسمع إليها
كلمت البغي " أنكيديو " وقالت له :
" إنك حكيم يا أنكيديو ، وأنت مثل إله
فعلام تجول في البرية مع الحيوان ؟
تعال أخذ بيدك إلى أروك ، الحمى والسور
إلى البيت المشرق ، مسكن أنو وعشتار

١ - آثرنا استعمال هذه الكلمة النابية لأنها في الأصل البابلي

حيث يعيش جلامش المكتمل الحول والقوة
 المتسلط على الناس كالثور الوحشي "
 ولما أن كلمته تقبل منها قولها
 لأنه كان ينشد صاحباً يفهم قلبه
 فأجاب أنكيديو البغي وقال لها :
 " هلمي أيتها البغي ، خذيني إلى البيت المشرق المقدس ، مسكن أنو وعشتار
 إلى حيث يحكم جلامش المكتمل الحول والقوة
 والذي يتسلط على الناس كالثور الوحشي
 وأنا سأتحده وأغلظ له في القول
 وسأصرخ في قلب أوروك أنا الأقوى !
 أجل ! أنا الذي سيدل المصائر
 أن الذي ولد في البرية هو الأشد والأقوى
 (فقالت البغي) : هلم نذهب كي يرى وجهك
 سأدلك على جلامش ، فأنا أعلم أين هو
 اجل أذهب يا انكيديو إلى " أوروك " ذات الأسوار
 حيث يرتدي الناس أبهى الحلل
 وفي كل يوم تقام الأفراح كالعيد
 حيث الأغاني والطرب والغواني الغيد الفاتنات
 اللاتي ملئن فنتة ويضوع الطيب والعطر منهن
 وأنت يا أنكيديو الذي تنشد البهجة في الحياة
 سأريك جلامش الفرخ ، المبتهج في الحياة
 و عليك أن تنتظر إليه وتتفرس في وجهه
 وستلقاه يز هو في رجولته وبأسه
 وتحلى جسمه المباهج والمفاتن
 إنه أشد بأساً منك ، وهو لا يستقر في الليل ولا في النهار
 فيا أنكيديو خل عنك غلواءك وتبجحك
 إن جلامش قد خصه شمش بالرضا والرعاية
 وحباه " أنو " و " أنليل " و " أيا " بالفهم الواسع (١)
 وقبل أن تهجر البراري سيراك جلامش في الرؤى وهو في أوروك "
 وفعلاً استيقظ جلامش في تلك اللحظة وأخذ يقص
 على أمه (٢) رؤياه قائلاً لها :
 " يا أمي لقد رأيت الليلة الماضية حلماً
 رأيتُ أني أسير مختالاً فرحاً بين الأبطال
 فظهرت كواكب السماء وقد سقط أحدها إلي وكأنه شهاب السماء (أنو)

١- حرفياً قد " وسعو أذنه أو سمعه " والأذن الطويلة والواسعة عند العراقيين القداماء كناية عن الفهم والحكمة

٢- أم جلامش ، الآلهة " ننسون "

لقد أردت أن أرفعه ولكنه ثقل علي
وأردت أن أزحزحه فلم أستطع أن أحرکه
تجمع حوله أهل " أوروک " ، ازدحم الناس حوله وتدافعوا عليه
واجتمع عليه أصحابي يقبلون قدميه
انحنيت عليه كما انحني على امرأة
وساعدوني فرفعته وأثيت به عند قدميك
فجعلته نظيراً لي "
فأجابت جلجامش أمه البصيرة العارفة وقالت له :
قالت " ننسون " العارفة بكل شيء :
" إن رؤيتك كواكب السماء ^(١) "
وقد سقط أحدها عليك وكأنه شهاب السماء (آنو)
والذي أردت أن ترفعه فنقل عليك
والذي أردت أن تزحزحه فلم تستطع
وانحنيت عليه كما تنحني على امرأة ، وجئت به ووضعته عند قدمي فجعلته أنا نظيراً
لك
إنه صاحب لك قوي يعين الصديق عند الضيق
إنه أقوى من في البراري ، وعزمه مثل عزم " آنو "
وأما أنك انحنيت عليه كما تنحني على امرأة
فمعناه أنه سيلازمك ولن يتخلى عنك
وهذا التفسير رؤياك "
ثم رأى جلجامش حلمًا ثانيًا فقصه على أمه :
" يا أمي رأيت رؤيا ثانية
في أوروک ، ذات الأسوار ، رأيت فأساً مطروحة وهي ذات شكل عجيب
وكان الناس متجمعين حولها
تجمع أهل أوروک عندها
ولما أبصرتها أحببتها وانحنيت عليها كأنها امرأة
ثم جئت بها ووضعتها عند قدميك فجعلتها أنت نظيراً لي "
فقالت الحكمة المتبصرة إلى ابنها
قالت ننسون ، المتبصرة في كل معرفة لجلجامش :
" إن الفأس التي رأيت (معناها) رجل
وأما أنك انحنيت عليه كما تنحني على امرأة
والذي جعلته أنا نفسي نظيراً لك
فتعتبره أنه صاحب قوي يعين الصديق عند الضيق
إنه أقوى من في البرية وعزمه مثل عزم (آنو) "
فتح جلجامش فاه وقال مخاطباً أمه :

١- قارن " رؤيا " يوسف في القرآن الكريم وتفسير رؤياه لكوكبي الشمس والقمر ساج بأبيه وأمه

" عسى أن يتحقق هذا الفأل العظيم فيكون لي صاحب " ^(١)
وحيثما كان جلجامش يستفسر عن رؤياه ثانية
كانت البغي تحدث أنكيديو وهو جالس قدامها
لقد نسي " أنكيديو " المكان الذي ولد فيه
ولبت أنكيديو يواصل البغي ستة أيام وسبع ليال
ثم خاطبت البغي أنكيديو وقالت له :
" كلما نظرت إليك يا انكيديو بدوت لي مثل إله
فعلام تجول في البرية وترعى مع الحيوان
تعال ، أقدك إلى أوروك ، موضع السوق
إلى البيت المقدس المشرق ، مسكن آنو
انهض يا انكيديو لآخذ بيدك إلى " أي - أنا " ، مسكن آنو
إلى حيث جلجامش ، الكامل القوى والفعال
وأنت ستحبه كما تحب نفسك
فهيا وانهض من على الأرض ، فراش الراعي "
لقد سمع كلمتها وتقبل قولها
وقه نصح البغي في قلبه موقع الرضا
ثم شقت لباسها شقين ، وألبسته بواحد منهما ، واكتست هي بالثاني
وأمسكته من يده وقادته كما تفعل الأم بطفلها
أخذته إلى مائدة الرعاة ، إلى موضع الحظائر
فأحاط الرعاة به
فلما وضعوا أمامه خبزاً تحير واضطرب ، وصار يطيل النظر إليه
أجل ! لم يعرف أنكيديو كيف يؤكل الخبز
ولم يعرف كيف يشرب الشراب القوي
ففتحت البغي فاهها وخاطبت أنكيديو :
" كل الخبز يا أنكيديو ، إنه مادة الحياة
واشرب من الشراب القوي ، فهذه عادة البلاد
فأكل أنكيديو من الخبز حتى شبع
وشرب من الشراب المسكر سبعة أقداح
فانطلقت روحه وانشرح صدره وطرب قلبه وأضاء وجهه
ومسح جسده المشعر بالزيت
وصار انساناً فلبس اللباس وصار كالعريس
أخذ سلاحه وانطلق يطارد الأسود ليريح الرعاة في أثناء الليل
لقد اصطاد الذئب وأمسك بالأسود
فاستطاع الرعاة أن يهجعوا في الليل مطمئنين

١ - اللوح الثاني (النص البابلي القديم) وإن الحقل الأول وجزء من الحقل الثاني تكرر لما سبق من رؤيا جلجامش وتفسيرها .

صار أنكيديو حارسهم وناصرهم
إنه القوي والبطل الفذ

(١)

... ..
لقد سر وأقام الأفرح (٢)

ولما أن رفع عينيه أبصر رجلاً
فقال للبغي أتيني بالرجل يا بغي
فعلام جاء إلى هنا؟ دعيني أعرف اسمه
نادت البغي الرجل ، فجاء إليه ورآه فقال له :
إلى أين أنت مسرع يا رجل ؟
وعلام تجشمت هذا السفر الشاق ؟

ففتح الرجل فاه وقال لـ " أنكيديو " (٣)

لقد اقتحم جلامش " بيت الرجال " الذي خصص للناس (٤)
لقد أحل في المدينة العار والدنس

وفرض على المدينة المنكودة المنكرات وأعمال السخرة
لقد خصصوا الطبل إلى ملك " أوروك " ، الكبيرة الأسواق

ليختار على صوته العروس التي يشتهيها
إلى جلامش ملك " أوروك " الكبيرة الأسواق
يخصصون الطبل ليختار العرائس قبل أزواجهن
فيكون هو العريس الأول قبل زوجها

وهم يقولون " لقد أراد الآلهة هذا الأمر وقدروه له منذ أن قطع حبل سرتة "
وما أنا فاه الرجل بهذا القول حتى امتقع وجه أنكيديو

(٥)

... ..
... ..

سار " أنكيديو " إلى الأمام وخلفه البغي

ولما دخل " أوروك " ذات الأسواق الواسعة ، اجتمع الناس حوله

وحين وقف في شارع " أوروك " ، في موضع السوق ، تجمعهم السكان حوله وقوله:

١- قرابة خمسة أسطر مخرومة من نهاية الحقل الثالث وثمانية أسطر من بداية الحقل الرابع .

٢- الحقل الرابع من اللوح الثاني للنص البابلي القديم

٣- إن معنى النص من بعد هذا السطر غير واضح تماماً ولكن يبدو أن أهل أوروك أرسلوا هذا الرسول ليبلغ أنكيديو شكواهم من مظالم جلامش ويحرضوه على قتاله .

٤- أول كلمة غامضة وقد ترجمت ترجمات أخرى مختلفة منها " بيت العرائس " و " بيت الزواج " و " بيت الاجتماع "

انظر الترجمتين الحديثتين :

1 – J.B Pritchard , The Ancient Near East in Texts , 48 – 49

2- Alexander Heidel , The Gilgamesh Epio , p , 30

والتعليقات المهمة للباحث A. Leo Oppenheim المنشورة في مجلة , (1948) , Orientalia 17 , P.28 وانظر " المعجم الآشوري " لجامعة شيكاغو تحت كلمة " emuti "

٥- نحو ثلاثة أسطر مخرومة ، وهي بلا شك تروي اعتزام أنكيديو على الذهاب إلى أوروك كما تدل على ذلك الأسطر التالية

إنه مثيل لجلجامش ، إنه أقصر ولكنه أقوى عظماً
إنه أقوى من في البلاد (البرية) ، وله بأس شديد
لقد رضع لبن حيوان البر في البرية
وفي " أوروك " لن تنقطع قعقة السلاح (١)
فرح الرجال الشجعان وهللوا قائلين :
لقد ظهر بطل ند وكفوء للبطل الجميل
أجل ظهر لجلجامش ، الشبيه بالإله ، نظيره ومثيله
ولما هبئ الفراش لـ " أشخارا " ليلاً
واقترب " جلجامش " ليتصل بالآلهة
وقف أنكيديو في الدرب وسد الطريق بوجهه (٢)
رأى جلجامش أنكيديو الهائج
الذي ولد في البادية ويجلل رأسه الشعر الطويل
فانقض عليه وهاجمه
تلاقيا في موضع السوق

سد أنكيديو باب بيت " العرائس " بقدميه ومنع جلجامش من الدخول إلى الفراش
أمسك احدهما بالأخر وهما متمرسان (بالصراع)
وتصارعا وخارا خوار ثورين وحشيين
حطما عمود (قائم) الباب وارتح الجدار
وظل جلجامش وأنكيديو يتصارعان كالثورين الوحشيين
وحيثما ثنى جلجامش ركبته وقدمه ثابتة في الأرض (ليرفع أنكيديو)
هدأت سورة غضبه واستدار ليمضي
ولما استدار يريد الذهاب بعد أن هدأ غضبه أنكيديو قائلاً له (٣) :

١- إشارة وتمهيداً للصراع الذي سينشب بين البطلين أنكيديو وجلجامش
٢- " أشخارا " . إلهة من آلهات الحب وشكل من أشكال عشتار الشهيرة ويتعلق المشهد بالشعائر الدينية
الخاصة " بالزواج المقدس " hieros gamos " الذي كان يقام لاتصال الملك بالآلهة . وكانت كاهنة خاصة
تقوم بدور الآلهة للاتصال الجنسي بالملك حيث يضمن بذلك إحلال الخصب والرخاء في البلاد .
انظر حول ذلك :

G. Dossin , Un rituel du culte d'Ishtar " in Revue d'Assyriologie , XXXV , i , ff
ولما كان جلجامش يتهبأ للقيام بهذه الشعائر الدينية صادف مجيء " أنكيديو " فتصدى له ومنعه من دخول
المعبد . وفي النص ما يشير إلى أن أنكيديو أراد هو أن يقوم بذلك الدور فنشبت المعركة بين البطلين . وقد
درس بعض الباحثين طريقة المصارعة بين البطلين ونشر عنها بحثاً طريفاً . انظر :

Cyrus Gordon in Iraq , VI , p 4
والطريف ذكره بهذا الصدد أن هناك تقويماً بابلياً ورد فيه عن شهر " أب " بأنه " شهر جلجامش وتقام فيه
المصارعة بين الرياضيين طوال تسعة أيام " (انظر نص ذلك في E. Weidner , Handbuch der Bab
Astronomie , p . 86 , II 5-15)

٣- يبدو من سياق النص أن الغلبة كانت لجلجامش ولكن هذا أعجب ببطولة خصمه فأبقى عليه . وستصف
الملحمة كيف صاراً صديقين حميمين . وأن أنكيديو من جانبه كما هو واضح من قوله اعترف بتغلب خصمه
الذي يتحلى بالملوكية المقدسة .

" إنك الرجل الأوحى ، أنت الذى حملتلك أمك ،
ولدتك أمك " ننون " (١) ، البقرة الوحشية
ورفع أنليل رأسك عالياً على الناس
وقدر إليك الملوكية على البشر "

١- ننون ، من الآلهات وقد سبق أن نوهت الملحمة بأنها أم جلجامش أنا أبوه فكان من البشر (انظر المقدمة) ، ونعت " ننون " بالبقرة الوحشية كناية شعرية عن القوة .

الفصل الثاني

أسفار جلجامش وأنكيبدو ومغامراته

" انتهت المصارعة بين البطلين بأن انعقدت أواصر الصداقة ما بينهما وصارا خلين حميمين يلزم أحدهما بالآخر ، وشرعا بالقيام بسفر طويل في مغامرة إلى " غابة " الأرز المسحورة التي يحرسها العفريت " خمبابا " وقد خصصنا لهذا الفصل نصوص الألواح : الثالث ، والرابع والخامس والسادس . وتكون بداية اللوح الثالث (الذي ورد بنصين آشوري وبابلي قديم) مخرومة ولذلك فلا سبيل لمعرفة الدوافع التي دفعت بالبطلين إلى ركوب هذه المغامرة ، ولكن يبدو من القصص الأخرى التي يدور حول جلجامش أن الباعث كان لتحقيق أعمال البطولة ، وفي قصة سومرية من قصص جلجامش نجد هذا البطل بقصد غابة الأرز ليضع اسمه في سجل الآلهة والأبطال الخالدين . ولعل الذي عجل جلجامش بالشرع في سفره البعيد أنه أراد أن يرقه عن صديقه أنكيبدو ، الذي يبدو أن سئم حياة الحضارة وحن إلى حياته الأولى في البراري والفقار .

(١)

.....
علام أنت راغب في تحقيق هذا المطلب ؟
ولم عقدت العزم على الذهاب إلى الغابة ؟

.....
قبل أحدهما الآخر وعقدا أواصر الود بينهما

.....
أم جلجامش المتمرس بكل شيء ، رفعت يديها إلى " شمش "

.....
ملاً الأسى قلب أنكيبدو وأغرورقت عيناه بالدموع
وأطلق الحشرات والآهات
فالتفت إليه جلجامش وكلمه قائلاً :

" لماذا أغرورقت عيناك بالدموع وملاً الأسى قلبك وصرت تصعد الزفرات ؟
فتح أنكيبدو فاه وقال لجلجامش :

" يا صديقي أشعر بان الخوف قد شل جوارحي

لقد خارت قواي ، وفقد ساعداي القوة "

فعلام عزمت على تحقيق هذا الأمر ؟ "

فخاطب جلجامش أنكيبدو وقال له :

" يسكن في الغابة " خمبابا " (٢) الرهيب فلنقتله كلانا

ونزيل الشر من الأرض

١- كما ذكرنا في مقدمة هذا الفصل ، تكون بداية اللوح الثالث مخرومة وعندما يصير النص واضحاً بعض الشيء نجد انكيبدو يحاور صديقه في عزمه على السفر إلى " غابة الأرز "

٢- العفريت الذي يحرس غابة الأرز ، وقد ورد اسمه في نصوص الألواح البابلية بصيغة " خاوا "

(١)

فتح " انكيديو " فاه وقال لجلجامش :
" يا صديقي لقد علمت ذلك لما كنت أرعى مع الحيوان في المرتفعات والبراري
الواسعة
إن الغابة تمتد مسافة عشرة آلاف ساعة مضاعفة في كل جهة
فمن ذا الذي يجرؤ على الإيغال في داخلها ؟
وخمبابا زئيره مثل عباب الطوفان ،
تتبعث من فمه النار ، ونفسه الموت الزؤام
فعلام ترغب في القيام بهذا الأمر و خمبابا لا يصد له هجوم ؟ "
ففتح جلجامش فاه وقال لأنكيديو :
" عزمت على أن أرتقي جبال الأرز
وأدخل الغابة مسكن خمبابا
وسأخذ معي فأساً لاستعين بها في القتال
أما أنت فأمكث هنا ، وسأذهب وحدي

(٢)

ففتح أنكيديو فاه وقال لجلجامش :
" كيف ستدخل غابة الأرز وإن حارسها ، يا جلجامش
مقاتل ، وهو قوي لا ينام أبداً "
(٣).

ولحفظ غابة الأرز عينه أنليل ، وجعل هيئته تبعث الرعب في البشر
فتح جلجامش فاه وقال لأنكيديو :
" يا صديقي ، من الذي يستطيع أن يرقى أسباب السماء ؟
والآلهة وحدهم هم الذين يعيشون إلى الأبد مع " شمش " (٤)
أما أبناء البشر فأيامهم معدودات (٥)
وكل ما عملوا هواء عبث
لقد صرت تخشى الموت ونحن ما زلنا هنا
فماذا دهى شجاعتك وبطولتك ؟
دعني إذن أتقدم قبلك ، ولينادني صوتك :
" تقدم ! ولا تخف !
وإذا ما هلكت فسأخذ لي اسماً ، وسيقولون عني فيما بعد :
لقد هلك جلجامش في النزال مع خمبابا المارد "

- ١- انخرام نحو ٤ أسطر
- ٢- نحو ٨ أسطر مخرومة من اللوح
- ٣- ثلاثة أسطر مشوهة
- ٤- وفي ترجمة محتملة يعيشون تحت الشمس إلى الأبد
- ٥- قارن عبارة سفر الجامعة من (التوراة) الإصحاح الأول ٢ - ٤

(١)

بقولك هذا أحزنت قلبي
على أنني سأمد يدي وأقطع أشجار الأرز
وأجعل اسمي خالداً
وسأصدر يا صديقي أوامري إلى صانعي السلاح
وسيصنعون السلاح بحضورنا "
صُدرت الأوامر إلى صانعي السلاح فاجتمعوا وتشاوروا
صنعوا أسلحة عظيمة : صبو فؤوساً تزن كل واحدة منها ثلاث ورنات (٢)
وصبوا سيوفاً كبيرة نصل كل منها ورنتان وقبضاتها تزن نصف وزنة
وسيوفاً أغمادها من ذهب يزن الواحد منها نصف وزنة
وتسلح جلجامش وأنكيدو بأسلحة زنتها عشر " ورنات "
تجمع الناس في شوارع " أوروك " إزاء الباب ذي المزالج السبعة
وشاهد الناس جلجامش في دروب " أوروك " ، ذات الأسواق
وجلس شيوخ أوروك مواجهين جلجامش فخاطبهم وقال :
" اسمعوا يا شيوخ " أوروك " ، ذات الأسواق
أريد ، أنا جلجامش ، أن أرى من يتحدثون عنه
ذلك الذي ملأ اسمه البلدان
عزمت على أغلبه في غابة الأرز
وسأجعل الأنبياء عن ابن " أوروك " تبلغ البلاد
فتقول عني : ما أشجع سليل أوروك وما أقواه !
سأمد يدي وأقطع الأرز فأسجل لنفسي اسماً خالداً
فأجاب شيوخ " أوروك " ، ذات الأسواق ، وقالوا لجلجامش
يا جلجامش أنت حدث ، وقد جاوزت المدى في شجاعة قلبك
وأنت لا تعرف عاقبة ما أنت مقدم عليه
إننا سمعنا عن خمبابا إن هيئته غريبة مخيفة
فمن سيصمد إزاء أسلحته ؟
والغابة تمتد عشرة آلاف ساعة مضاعفة في كل الجهات
فمن ذا الذي يستطيع أن يوغل في داخلها ؟
أما خمبابا فزمجرته مثل عباب الطوفان
وتنبعث من فمه شواظ النيران ، ونفسه الموت الزؤام
فعلام رغبت في تحقيق هذا الأمر ؟ "
فلا أحد يستطيع الصمود إزاء خمبابا في موطنه
ولما أن سمع جلجامش كلام ناصحيه
التفت إلى صديقه وضحك (قائلاً) : كيف سأجيبهم

١ - نحو ستة أسطر مشوهة ويظهر أن الكلام الذي يلي لجلجامش

٢ - الوزنة البابلية تساوي ستين منا بابلياً ، و " المنا " كما ذكرنا ، نحو نصف كيلو غرام أو رطل انجليزي .

أجيبهم بأنني أخاف من خمبابا ؟
" وسأظل ملازماً بيتي طول أيام حياتي الباقية ؟ "
(١)

.....
ثم خاطب شيوخ أوروك جلجامش وقالوا له أيضاً :
" عسى أن ينصرك إلهك الحامي (٢)

وعساه أن يرجعك سالماً في طريق عودتك إلى بلدك
ويعيدك سالماً إلى ميناء " أوروك "

ثم سجد جلجامش للإله " شمش " ودعاه :

إنني ذاهب يا " شمش " وإليك أرفع يدي

عسى أن تنال روعي الخير والبركة

أرجعني سالماً إلى ميناء أوروك ، وأبسط علي حمايتك (٣)

ثم دعا جلجامش صديقه واستطلع فأله (استخار طالعه)
(٤)

.....
انهمرت الدموع على وجه جلجامش

(٥)

.....
جاءوا إليه بأسلحة (وقلدوه) السيوف العظيمة

زودوه بالقوس والكنانة ، وأخذ معه الفؤوس

تنكب قوس " أنشان " (٦) وتقلد سيفه

وجاء الناس إلى جلجامش وتمنوا له قرب العودة

وباركه الشيوخ ، وأسدوا له النصيح في سفره وقالوا له :

" أيه الملك كنا نطيعك في مجلس الشورى (٧)

١- يكون النص في الأسطر القليلة الآتية مشوهاً ويبدو من الكلمات القليلة الباقية أنها تتضمن كلام جلجامش إلى صديقه " أنكيدو " وبعد هذا النقص نجد شيوخ أوروك يخاطبون جلجامش داعين له بالنجاح والتوفيق كما في الترجمة .

٢- كان أفراد المجتمع في العراق القديم ، بالإضافة إلى عبادتهم الآلهة بوجه عام ، يتخذ كل منهم إلهاً خاصاً يكون حاميه وشفيعه لدى الآلهة العظام ويدفع عنه الشر والأذى . وكان إله جلجامش الحامي " لوكال بندا " زوج الآلهة نسون .

٣- وفي بعض الروايات السومرية الخاصة بسفر جلجامش إلى أرض الخالدين نجد جلجامش يتقدم إلى الإله شمش وهو ممسك بجدي أبيض وبآخر اسمر وقد وضعهما على صدره ليقربهما إلى الإله شمش ، كما أمسك بيده الأخرى صولجانه الغضي وخاطب " شمش " يدعوه أن يساعده في رحلته ويرجعه سالماً إلى وطنه . ونجد المشهد الأول كثيراً ما يمثل في المنحوتات ولا سيما المنحوتات الآشورية . (انظر المقدمة)

٤- انخرام نحو ٦ أسطر من النص ، ويبدو من أول سطر من النص الباقي أن طالعه لم يسعفه

٥- انخرام أيضاً من خمسة أسطر

٦- أنشان " إقليم في بلاد عيلام ، وهي خوزستان أو عريستان الآن

٧- تشير المصادر إلى أن نوعاً من نظام حكم الشورى أو نظام الحكم الديمقراطي البدائي كان يمارسه العراقيون الأقدمون في فجر حياتهم السياسية وإذا كان ليس في الوسع شرح هذه الناحية التاريخية المهمة فنحيل القارئ المهتم بالموضوع إلى ما سبق أن نشرناه في مجلة " سومر " (١٩٥١) الص ٢٣ فما بعد .

ونشير أيضاً إلى الباحثين المهمين :

1- Jacobsen , in the Journal of Near Eastern Studies , Vol . II , No . 3 (1943) ,
195 , ff

2- S.N Karmer , From the Tablets of Sumer (1956) Chap 4 .

فاستمع إلينا وخذ بمشورتنا أيها الملك :
لا تتكل على قوتك وحدها يا جلجامش
دعه (أي أنكيديو) يتقدم في الطريق وابق على نفسك
دع " انكيديو " يسير أماك فإنه يعرف الطريق وقد سلكه
إنه يعرف الطريق إلى غابة الأرز ، وقد خبر القتال والنزال
وإن من يسير في الطبيعة يحمي صاحبه
فدعه يتقدم وابق على نفسك
وعسى " شمش " أن ينصرك
وعساه أن يمهد لك السبيل المسدود
ويفتح الطريق لمسارك ، ويفتح مسالك الجبال لقدميك
عسى الليل أن يأتيك بما يسرك ويفرحك
ليقف " لوكال بندا " ^(١) بجانبك ويجعلك تنال النصر هينا
وفي نهر " خمبابا " الذي تسعى للوصول إليه اغسل قدميك
احفر بئراً في الأصيل ، ولتكن قربتك ملأى بالماء النقي على الدوام
قرب الماء البارد إلى " شمش "
وردد ذكر " لوكال بندا " دائماً
فتح جلجامش فاه وقال لأنكيديو
" هلم يا صديقي نزر " معبد " أي كال ماخ "
ونمثل أمام " ننسون " الحكيمة البصيرة بكل معرفة
ستمحضنا النصح وتسد خطانا
فسار جلجامش وأنكيديو وقصدا إلى " أي كال ماخ "
مثل جلجامش أمام " ننسون " الملكة العظيمة ، وصلى لها وخاطبها :
" يا ننسون انذني لي أن أخبرك
بأنني اعتزمت سفراً بعيداً ، إلى موطن " خمبابا "
إنني مقدم على نزال لا أعرف عاقبته
ومزمع على ركوب طريق لا أعرف مسالكة
فحتى اليوم الذي أذهب فيه وأعود
وإلى أن أبلغ غابة الأرز وأذبح خمبابا المارد
وامحو من على الأرض كل شر يمقته شمش
تشفعي لي عند " شمش " (وصلي له من أجلي)
وإذاك دخلت " ننسون " حجرتها
وارتدت لباساً يليق بجسمها
وازينت بحلى تليق بصدرها ووضعت على رأسها تاجها
ثم صعدت على السطح وتقدمت إلى شمش وأحرقت البخور
وقدمت القربان ورفعت يديها إلى شمش وقالت :

١ - إله جلجامش الحامي وزوج الآلهة " ننسون " أم جلجامش وقد سبق الإشارة إلى ذلك

" علام أعطيت ولدي جلامش قلباً مضطرباً لا يستقر ؟
والآن حثته فاعتزم سفرأ بعيداً إلى موطن خمبابا
سيلاقي نزالاً لا يعرف عاقبته
وسيسير في درب لا يعرف مسالكه
فإلى أن يذهب ويعود
وحتى يبلغ غابة الأرز
ويقتل خمبابا المارد
ويمحو من على الأرض كل شر تمقته
عسى عروسك " أي " (١) أن تذكرك باليوم الذي ترجعه فيه
ولتوكل به حراس الليل والكواكب وأباك " سين " حينما تحتجب أنت في الليل (٢)
ثم أطفأت البخور وعودت وأحضرت الكاهنات والبعايا (المقدسات) والمتبتلات
ودعت إليها أنكيديو وأوصته قائلة :
" يا أنكيديو القوي الذي ليس من رحمي قد اتخذتك منذ الآن ولدأ
ثم قلدت عنقه بقلادة جواهر لتكون موثقاً منه وقالت له :
ها إني أئتمنك على ولدي فأرجعه إلي سالمأ
(٣)
.....
(٤)
.....
وبعد سفر عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بقليل من الزاد
وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل
ثم انطلقا سائرين خمسين ساعة مضاعفة أثناء النهار
وقطعا مدى سفر شهر ونصف الشهر في ثلاثة أيام (٥)
وحفرا بئراً تقرباً إلى الإله " شمش "
وبعد أن قطعاً تلك المسافة الطويلة شارفا مدخل الغابة (٦)
وكان مدخلاً عجيباً بهرهما مشهده . إنهما لم يصلا بعد إلى الغابة
ولكن أشجار الأرز في المدخل كان منظرها عجيباً فكان علوها

- ١- الآلهة " أي " أو " آية " زوج شمش ، وهي تمثل الفجر
٢- الآلهة الموكلين بحراسة الليل ، والإله سين ، الإله القمر وقد اعتقدوا فيه أنه أبو الإله شمس " شمش "
لأن النهار يتولد من الليل .
٣- نقص كبير في النص حيث ينخرم جميع الحقل الرابع وكذلك الحقل التالي بأجمعه ويستمر النقص في اللوح
الرابع (النص الأشوري) وهي بلا شك تتضمن وصف سفر البطلين إلى غابة الأرز ولم يبق من أخبار ذلك
سوى كسر ونصوص مقطعة .
٤- وبالنظر لكثرة الخروم والنواقص في اللوحين الرابع والخامس ، وتقطع نصوصهما رأينا نترجم ما بقى
منهما ترجمة ملخصة وبتصرف .
٥- حساب الساعة المضاعفة البابلية بنحو ١٠،٨ كم ويكون ثلاث مرات خمسين ساعة مضاعفة نحو ١٦٠٠
كم . وهي المسافة التقريبية إلى بلاد الشام وإلى جبال الأرز في لبنان .
انظر :

Schott. Das Gilgamesh Epos (1958 , p 43)

٦- لانخرام النص هنا كما سبق أن ذكرنا لخصت القصة هنا بالاعتماد على بعض الروايات السومرية من
قصص جلامش (انظر أحدث ترجمة بتصرف في

N.K Sandars , The Epic of Gilgamesh (1960) 75 , ff

اثنين وسبعين ذراعاً و عرض المدخل أربعة وعشرين ذراعاً
ووجدا عنده عفريتاً عينه خمبابا ليحرسه ، فشجع أنكيديو
صديقه جلجامش أن يتقدم ، ليأسرا الحارس قبل أن يأخذ عدة سلاحه
فتشجع جلجامش وأسرع الصديقان وهجما عليه وقتلاه
ولكن لما أراد أنكيديو الدخول إلى الغابة من بابها شلت قواه
بتأثير الباب المسحور ، فنادى جلجامش وحذره من أن يدخل
ولكن هذا شجع صديقه قائلاً : أبعد أن عانينا هذه الصعاب
وقطعنا هذا السفر البعيد نعود من حيث أتينا خائبين ؟
وأنت الذي مارست النزال والصعاب تشجع وكن بجانبني
فتعود إليك شجاعتك ويفارقك الرعب والشلل
أبليق بصديقي أن يتخلف ويحجم ؟ كلا يا صديقي علينا أن نتقدم ونوغل في قلب
الغابة وسيحمي أهدنا الآخر ، وإذا ما سقطنا في النزال فسنخلف لنا اسماً خالداً
فنجح البطلان في اجتياز مدخل الغابة ، ووصلا إلى داخلها
فأبصرا الجبال الخضراء ، وذهلا من منظر غابة الأرز وسحر جمالها ، ثم تتبعا
المسالك التي يسير فيها عفريت الغابة " خمبابا "
وشاهدا من بين ما شاهدها جبل أرز خاص بالآلهة ، حيث أقيم عرش الآلهة
" ارنييني " (عشتار) ، وحيث تتعالى أشجار الأرز أمام ذلك الجبل بظلالها
الوارفة التي تبعث البهجة والسرور
وعند مغرب الشمس حفر جلجامش بئراً وقرب منها ، وارتقى
الجبل وسكب الماء المقدس وقرب الطعام ودعا الجبل أن يريه حلماً يبشره بالفرح
ثم اضطجع الصديقان للراحة وسرعان ما أدركهما النوم فرأى جلجامش رؤيا
واستيقظ وقص حلمه على صديقه وقال :
" يا أنكيديو من الذي أيقظني إن لم تكن أنت ؟
يا صديقي لقد رأيت رؤيا ، رأيت أننا نقف في هوة جبل ، ثم سقط الجبل فجأة
وكنا ، أنا وأنت ، كأننا ذباب صغار
ورأيت في حلمي الثاني الجبل يسقط أيضاً فصدمني
ومسك قدمي . ثم انبثق نور وهاج طغى لمعانه وسناه
على هذه الأرض فانتشلني من تحت الجبل وسقاني الماء
فسر قلبي "
فأجاب أنكيديو صديقه جلجامش وفسر رؤياه قائلاً :
" إن رؤياك ، يا صديقي ، ذات مغزى حسن وبشرى سارة
إن الجبل الذي سقط عليك هو " خمبابا " ونحن سنتغلب عليه ونقتله "
ثم تسلقا الجبل مرة أخرى ورأى جلجامش رؤى أخرى
فسرّها بأنها بشارات على نجاحهما في لقائهما مع العفريت خمبابا
ودنت ساعة اللقاء الحاسمة لما بدأ جلجامش يقطع أشجار الأرز بفأسه ، إذ سمع
" خمبابا " الضجيج

فغضب وهاج وزمجر صائحاً : " من القادم المتطفل الذي كدّر صفو الغابة
وأشجارها النامية في جبلي ؟ ومن الذي قطع الأرز ؟ "
وتهاياً " خمبابا " للهجوم على الصديقين اللذين استحوذ عليهما الرعب
وندما على ركوب هذه المغامرة ودخول غابة الأرز
وأخذا يتضرعان إلى الإله " شمش " ليعينهما على الخلاص من الهلاك فاستجاب
لهما
الإله وانقلبت الآية حيث أهاج الإله " شمش " الرياح العاتية وساقها على " خمبابا "
فمسكته وشلت حركته ، فاستسلم لهما وأخذ يضرع
أن يبقيها على حياته ويأسراه فيكون خادماً لجلجامش
ويجعل الغابة المسحورة وأشجارها ملك يديه
فرق قلب جلجامش وكاد أن يبقي عليه
ولكن صديقه " أنكيو " حرّضه على قتله فقتلاه وقطعا رأسه
وتنتهي المغامرة بنجاح البطلين وعودتهما سالمين
إلى أوروك

وإلى هنا يكون النص واضحاً حيث يبدأ اللوح السادس بمشهد طريف وهو تهيؤ
البطلين للاحتفال بنجاح حملتهما إلى غابة الأرز ، فلنتابع الترجمة :

- عودة البطلين إلى أوروك واحتفالهما بالنصر -

" غسل (جلجامش) شعره الأشعث الطويل وصقل سلاحه (١)
وأرسل جدائل شعره على كتفيه
وخلع لباسه الوسخ واكتسى حلاً نظيفة
ارتدى حلة مزركشة وربطها بزئار
ولما أن لبس جلجامش تاجه
رفعت عشتار الجلييلة عينيها ورمقت جمال جلجامش (فنادته) :
" تعال يا جلجامش وكن عريسي (٢)
وهبني ثمرتك أتمتع بها
كن زوجي وأكون زوجك
ساعد لك مركبة من حجر اللازورد والذهب
وعجلاتها من الذهب وقرونها من البرونز
وستربط لجرها " شياطين الساعة " بدلاً من البغال الضخمة
وعندما تدخل بيتنا ستجد شذى الأرز يعبق فيه
إذا دخلت بيتنا فستقبل قدميك العتبة والدكة

١ - اللوح السادس

٢ - وفي روايات أخرى " زوجي " أو " حبيبي "

سينحني لك الملوك والحكام والأمراء
وسيقدمون لك الأتاوة من نتاج الجبل والسهل
وسيحمل معزك " الثلاث " ونعاجك " التوائم "
وحمير الحمل عندك ستفوق البغال في الحمل
وسيكون لخيول مركباتك الصيت المعلى في السباق
وثورك لن يكون له مثيل وهو في نيره "
ففتح جلجامش فاه وأجاب عشتار الجلييلة وقال :
" ولكن ماذا علي أن أعطيك أن تزوجتك
أحتاجين إلى السمن (الزيت) والكساء لجسدك ؟
وأي أكل وشراب تحتاجين إليه مما يليق بسمة الإلهية ؟
(١)

... ..
أي خير سأنا له لو تزوجتك ؟
أنت ! ما أنت إلا الموقد الذي تخمد ناره في البرد
أنت كالباب الناقص لا يصد عاصفة ولا ريحاً
أنت قصر يتحطم في داخله الأبطال
أنت فيل يمزق رحله
أنت قير يلوث من يحمله وقربة تبلل حاملها
أنت حجر " يشب " يستقدم العدو ويغريه
وأنت نعل يقرص قدم منتعله
أي من عشاقك من بقيت على حبه أبداً ؟
وأي من رعائك من رضيت عنه دائماً ؟
تعالى اقص عليك (مآسي) عشاقك :
من أجل " تموز " ، حبيب صباك
قد قضيب بالبكاء سنة بعد سنة (٢)
لقد أحببت (طير) الشقراق المرقش
ولكنك ضربته بعصاك وكسرت جناحيه
وها هو الآن أحاط في اليساتين يصرخ نادباً : " جناحي ، جناحي " (٣)
وأحبيت الأسد ، الكامل القوة

- ١- ثلاثة أسطر مشوهة لا يمكن ترجمتها
- ٢- يشير هذا إلى العادة القديمة الخاصة بالندب والبكاء على " تموز " ، إله الخضر والربيع ، حيث اعتقدوا فيه أنه كان ينزل إلى العالم الأسفل في كل خريف ويعود إلى الحياة مع بشائر الربيع . (قارن ذلك بما ورد في التوراة " سفر حزقيال ٨ : ١٤) وأرجع إلى رواية ابن النديم في فهرسته عن ممارسة البكاء على تموز عند أهل حران .
- ٣- ترجم بعضهم هذا الطائر بطير الراعي . ويلاحظ أن الشقراق الذي يكثر في العراق يخرج في أثناء موسم اللقاح ، وهو طائر ، صوتاً يشبه اللفظ البابلي " كبي " kappi أي جناحي ، وإن صوته هذا وتقلبه في أثناء الطيران أحياناً هو الذي أوحى على ما يرجع هذا الخيال الطريف لأدباء العراق القديم ومنه نشأت " أسطورة الجناح الكسير "

ولكنك حفرت (للإيقاع به) سبع وسبع وجرات (حفر)
وأحبيت الحصان ، المجلى في البراز والسباق
ولكنك سلطت عليه السوط والمهماز والسير
وحكمت عليه بالعدو شوط سبع ساعات مضاعفة
وقضيت عليه أن لا يرد الماء إلا بعد أن يعكروه (١)
وقضيت على أمه " سليلي " أن تواصل الندب والبكاء
وأحبيت راعي القطيع ، الذي لم ينقطع يقدم لك أكداً الخبز
وينحر الجداء لك كل يوم
ولكنك ضربته بعصاك ومسخته ذنباً
وصار يطارده الآن ألفه من حماة القطيع ، وكلابه تعض ساقيه
ثم أحبيت " أيشولنو " ، بستاني أبيك (٢)
الذي كان يحمل إليك السلال المملئ بالتمر بلا انقطاع
وجعل مائدتك عامرة بالوفير من الطعام كل يوم
(ولكنك) رفعت إليه عينيك فراودته وقلت له :
تعال إلي يا حبيبي " أيشولنو " ودعنا نذق متعة رجولتك
مد يدك وأمس مفاتن جسمنا "
فقال لك " أيشولنو " :
ماذا تبغين مني ؟
ألم تخبر أمي فأكل منها حتى أكل طعام اللعنة والعار ؟
وهل يدرأ خص القصب الزمهرير (٣)
وهل ستكون الحلفاء غطائي أزاء البرد القارص
ولما سمعت كلامه هذا ضربته بعصاك ومسخته ضفدعاً (٤)
وجعلته يعيش في عذاب مقيم
فإذا ما أحببتني فستجعلين مصيري مثل هؤلاء "
ولما سمعت عشتار هذا استشاطت غيظاً وعرجت إلى السماء
صعدت عشتار ومثلت في حضرة أبيها " أنو " وأمها " أنتم " فجرت دموعها وقالت:
يا أبي إن جلجامش قد عزرني وأهانني
لقد سبني وعيرني بهناتي وشروري
ففتح أنو فاه وقال لعشتار الجلييلة :
أنت التي تحرشت فأهانك جلجامش وعدد مثالبك وهناتك
ففتحت عشتار فاهها وقالت لـ " أنو "

١- الملاحظ أن الحصان لما يرد الماء يضع قائمته الأماميتين في الماء ويحفر بهما الأرض فيعكر بذلك الماء

٢- أي بستاني الإله " أنو "

٣- يبدو أن هذه العبارة من الأمثال البابلية ، والحلفاء نفس الكلمة البابلية

٤- في البابلية " دالو " والترجمة غير مؤكدة ، وقد اقترح بعضهم تعيينه بالخلد والعنكبوت

اخلق لي يا أبتِ ثوراً سماوياً ليهلك جلجامش
وإذا لم تخلق لي الثور السماوي فلأحطمن العالم الأسفل وافتحه على مصراعيه
واجعل الموتى يقومون فيأكلون كالأحياء
ويصبح الأموات أكثر عدداً من الأحياء (١)
ففتح أنو فاه وأجاب عشتار وقال :
لو لببت طلبك لحلت سبع سنين عجاف لا غلة فيها (٢)
فهل جمعت غلة تكفي الناس ؟
وهل خزنت العلف للماشية ؟
فتحت عشتار فاهها وأجابت أنو أباها قائلة :
لقد كدست ببادر الحبوب للناس
وخزنت العلف للماشية
فلو حلت سبع سنين عجاف فقد خزنت غلالاً
وعلفاً تكفي الناس والحيوان
ولما أن سمع أنو كلامها سلم عشتار سلسلة مقود الثور السماوي
فأخذته وقادته إلى الأرض
وأنزلته في أرض " أوروك " (٣)

.....
نزل الثور السماوي وهو ينشر الرعب والفرع
وقضى في أول حوار له على مائة رجل ثم مائتين وثلثمائة
وقتل في حوار الثاني مائة ومائتين وثلثمائة
وفي حوار الثالث هجم على أنكيديو
ولكن أنكيديو صد هجومه
قفز أنكيديو ومسك الثور السماوي من قرنيه
ورشق ثور السماء وجهه بزبدة ورغائه
وقذفه بالروث بذيله
ففتح أنكيديو فاه وقال لجلجامش :
لقد تبجنا يا صاحبي ..
وكيف سنجيب ..

(٤)

.....

- ١- فحوى هذا التهديد أنه بخروج الموتى ومشاركتهم الأحياء في الطعام تحل المجاعة في الأرض ويحرم حتى الآلهة من الغذاء
- ٢- كان الأولى أن يقع القحط والمجاعة لو فعلت عشتار ما هددت به ولكن يبدو كما رأى الباحثين . أن ثور السماء يرمز إلى الجفاف وانحباس الماء .
- ٣- ينخرم من النص في هذا الموضع نحو ٨ أسطر ولكن يتضح من النص الذي يلي ومن سياق القصة أن أنو استجاب لرغبة عشتار فخلق لها الثور السماوي . ولقد حاول بعضهم ترجمة بعض هذه الأسطر كما في الترجمة (انظر Schott , op , cit , p . 57)
- ٤- نقص من نحو ١٠ أسطر ولكن مضمون هذه الأسطر الناقصة يدور على أن صراعاً نشب بين البطلين وبين الثور السماوي كما يدل على ذلك النص الذي يلي النقص

ينبغي أن نقتسم العمل فيما بيننا :
أنا سأمسك الثور من ذيله
وينبغي أن يكون طعن السيف ما بين السنام والقرنين "
فطارد أنكيدو ثور السماء ليمسكه
ومسكه من ذيله وضبطه بكلتا يديه
و جلامش مثل قصاب ماهر
طعن الثور السماوي طعنة قاتلة
وغرس حسامه بين السنام والقرنين
وبعد أن أجهزا على ثور السماء اقتلعا قلبه
وقرباه إلى (الإله) شمش ، وسجدا له
وقعد الأخوان واستراحا
(أما) عشتار فإنها ارتقت أسور أوروك العالية
صعدت على الشرفات وقذفت بلعناتها (صارخة) :
الويل لجلامش الذي دنسني وأهانني وقتل ثور السماء "
ولما أن سمع أنكيدو هذا القول من عشتار
قطع فخذ الثور السماوي وقذفه بوجه عشتار وقال :
" لو قبضت عليك لقتلتك مثله
ولربطت أحشاءه بأطرافك "
فجمعت عشتار بنات المعبد وبغاياهم والمخصيين
وأقامت البكاء والنوح على فخذ الثور السماوي
أما جلامش فغنه دعا الصناع ، وصانعي السلاح كلهم
فانبهر الصناع من كبر قرنيه
فقد كان وزن كل منهما ثلاثين " منا " (١) من اللازورد
وثخن غلافهما أصبعين من السمن
ومقدار ستة " كرات " من السمن سعة كليهما (٢)
فقرب بمقدار ذلك زيتاً للمسح إلى إلهه الحامي " لوكال بندا "
أخذهما وعلقهما في حجرة نومه
ثم غسلا أيديهما في نهر الفرات
وعانق كل منهما الآخر وسارا في الطريق
سارا راكبين في دروب " أوروك "
فاجتمع أهل أوروك ليشاهدوهما
وصار جلامش يخاطب وصيقات قصره ويردد :
من الأجد بين الرجال ؟
ومن الأقوى بين الأبطال ؟

١- زنة " المنا " البابلي كما ذكرنا نحو نصف كيلو غرام أو رطل انجليزي تقريبا

٢- الكر البابلي كيلة تساوي نحو ٦٥ غالون

(فيجيبينه) : جلجامش الأمد بين الرجال !
جلجامش الأشهر بين الأبطال ! "
وتلك التي قذفناها بفخذ السماء ونحن غضبي
عشتار .. لم تجد في الدروب من يواسيها ويفرح قلبها
(١)

.....
أقام جلجامش حفل فرح في قصره
ونام البطلان واستراحا في فراشهما
واضطجع أنكيديو أيضاً فرأى حلماً
ولما نهض قص رؤياه على صديقه وقال :
يا صاحبي لم اجتمع الآلهة العظام للشورى ؟ (٢)
ثم طلع النهار فقص أنكيديو رؤياه على جلجامش (٣)
" يا صاحبي أي حلم عجيب رأيت الليلة الماضية !
(رأيتُ) أن أنو و أنليل و " آيا " وشمس السماوي قد اجتمعوا يتشاورون
وقال أنو لـ " أنليل "
لأنهما قتلا الثور السماوي وقتلا " خمبابا "
فينبغي أن يموت ذلك الذي اقتطع أشجار الأرز
ولكن أنليل أجابه قائلاً : إن انكيديو هو الذي سيموت
أما جلجامش فلن يموت "
ثم انبرى شمش السماوي وأجاب أنليل البطل وقال :
ألم يقتلا ثور السماء " وخمبابا " بأمر مني ؟
فعلام يقع الموت على أنكيديو وهو بريء ؟
فالتفت أنليل إلى شمش السماوي وأجابه حانقاً :
ألأنك تنزل كل يوم حتى صرت كأنك واحد منهم ؟ (٤) .

-
- ١- انخرام في النص نحو ٣ أسطر
 - ٢- ينتهي اللوح السادس بالتذييل الآتي : الرقيم السادس من " هو الذي رأى كل شيء " " سلسلة جلجامش " كتبت طبق الأصل وحققت .
 - ٣- اللوح السابع وإن بداية هذا اللوح من النص الآشوري مفقود أيضاً ولكن يمكن تكميله من النص الحثي .
 - ٤- طلوع الشمس على البشر في كل يوم جعل الإله الشمس يعطف على البشر ويقف بجانبهم في مجالس الآلهة فيصير كأنه واحد منهم .

الفصل الثالث

موت أنكيديو وحزن صديقه عليه وسعيه وراء الخلود

رقد أنكيديو مريضاً أمام جلجامش
وأخذت الدموع تنهمر من عينه مدراراً
فقال له جلجامش : يا أخي وخلي العزيز علام بيروئني من دون أخي ؟
(ثم) اردف يقول : هل سيحتتم على أن أراقب أرواح الموتى
فأجلس عند باب الأرواح ؟
وهل سيكتب علي ألا أرى صاحبي العزيز بعيني ؟
(١)

رفع أنكيديو عينيه وخاطب الباب كما لو كان إنساناً :
" مع أن باب خشب الغابة لا يفهم ولا يعقل :
لقد قررت اختيار خشبك من مسافة عشرين ساعة مضاعفة
حين لمحت أشجار الأرز الباسقة
أن خشبك ، يا باب ، لم أر مثيلاً له في البلاد
علوك اثنان وسبعون ذراعاً وأربعة وعشرون ذراعاً عرضك
لقد صنعك صانع ماهر في نفر (٢) وجلبتك منها
أيها الباب لو كنت علمت أن هذا ما سيحل بي وأن حمالك سيجلب علي المصائب
أذن لرفعت فأسي وحطمتك
ولجعلت منك كلكا (طوافة)
ولكن ما الحيلة يا باب وقد صنعتك وجلبتك
ولعل ملكاً ممن سيأتي من بعدي
سيستعملك ويزيل اسمي ويضع اسمه "
سمع جلجامش قول صديقه أنكيديو فجرت دموعه
فتح جلجامش فاه وقال لأنكيديو :
لقد حباك الإله بقلب واسع
ومنحك الحكمة ولكنك تقولاً شططاً .

١- وهنا ينتهي ما بقي من اللوح الحثي ، ولكن يستبان من سياق القصة ومما سيأتي أن أنكيديو قد رقد على فراش المرض ، وإذ أدرك قرب نهايته أخذت تتوارد عليه الخواطر والذكريات فود لو أنه ما جاء إلى حياة الحضارة وظل في باديته سعيداً خالي البال يرعى مع الأطباء والحيوان . وأخذ يكيل اللعنات على من زين له المجيء إلى حياة المدنية ، فصار يلعن الباب الذي صنعه الصياد الذي أتى إليه بالبغي والبغي التي زينت له المجيء إلى أوروك ، ويروي لنا هذا المشهد المؤثر النص الآشوري بعد نقص في أوله فأرجع إلى الترجمة
٢- " نفر " المدينة السومرية الشهيرة ، ويدل هذا على شهرتها بالنجارين في صنع الأبواب

فعلام يا صاحبي نطقت بهذه الأقوال الغريبة ؟
لقد كانت رؤياك رؤيا عجيبة ولكنها مخيفة
ويا ما أكثر الرؤى العجيبة !
يسلط الآلهة على الأحياء الأحران
وتسلط الرؤى على الباقين من الأحياء الأحران .
سأنام وأتضرع إلى الآلهة

(١)

.....
ثم أخذ يلعن الصياد والبغي (ويقول) :
" اسلب (الصياد) ماله وأحل به الوهن
وعساك أن لا تقبل منه أعماله
وعسى أن يفر كل صيد يروم اقتناصه
وأن لا تتحقق له أمنية من أمني قلبه
ثم دفعه قلبه إلى أن يلعن البغي فقال :
تعالى أيتها البغي أقدر لك مصيرك
وهو مصير لن ينتهي إلى الأبد
سأنزل بك لعنة كبرى
أنه قسم ستحل بك لعناته في الحال

(٢)

.....
ليكن طعامك من فضلات المدينة
ستكون زوايا الدروب المظلمة مأواك
وفي ل الجدار سيكون وقوفك
وسيلطم السكران والعطشان والصاحي خذك
وعسى أن ينبذك عشاقك بعد أن يقضوا وطرهم من سحر جمالك

(٣)

.....
ولما أن سمع الإله شمش كلامه ناداه من السماء وكلمه :
" علام يا أنكيدو تلعن البغي ؟
تلك التي علمتك كيف يؤكل الخبز اللائق بالإلوهية
وأعطتك للشرب خمراً يليق بالملوكية

١- يعقب انخرام كبير في النص من نحو ٥٠ بيتاً وقد رأى بعضهم ترجمة قسم منها على الوجه الذي أثبتناه في
ترجمتنا (Schott , ep ,eil , 61 – 62) وبعد أن يبدأ النص المحفوظ نجد أنكيدو يدعو الإله شمش ليحل
اللجنة بالصياد .

٢- انخرام من نحو (٩ - ٨) أسطر

٣- نقص أيضاً من نحو ١٠ أسطر

وكستك بالحلل القشبية
وأعطتك جلجامش الوسيم خلأ وصاحباً
أفلم يجعلك جلجامش ، خلك وأخوك ، تنام على الفراش الوثير ؟
أجل ، إنه جعلك تنام على سرير الشرف
وأجلسك على كرسي الراحة الذي إلى يساره
لكي يقبل أمراء الأرض قدميك
وسيجعل أهل " أوروك " يرثونك ويبيكونك
ويحمل الموسرين على أن يقربوا إليك
أنا هو نفسه فبعد أن يودعوك القبر سيطلق شعره
وسيرتدي جلد الأسد ويهيم على وجهه في القفار البراري "
ولما أن سمع أنكيدو " شمش " البطل ، هدأت سورة غضبه
(١)

... ..
" سيحبك الملوك والأمراء والعظماء جميعاً
ولن يضرب أحد فخذة مستيباً إياك (٢)
ومن أجلك سيهز الشيخ لحيته
وسيلج الشباب أحزمتهم من أجلك
وسيقدمون لك اللازورد والذهب والعقيق
وعسى أن ينال الجزاء كل من يمتهنك ،
ويكون بيته واهراؤه خاوية
وسيقودك الكاهن إلى حضرة الآلهة
ومن أجلك ستهجر الزوجة ، ولو كانت أم سبعة "
ثم اشتد المرض بأنكيدو ولبت راقداً على فراش المرض وحيداً
فأخذ يبيت أحزانه في تلك الليلة إلى صديقه :
وناجاه قائلاً : يا خلي ، لقد رأيت الليلة الفاتنة رؤيا
كانت السماء ترعد فاستجابت لها الأرض (٣)
وكنت واقفاً وحدي فظهر أمامي مخلوق مخيف مكفهر الوجه
كان وجهه مثل وجه طير الصاعقة " زو " (٤) ومخالبه كأظفار النسر
لقد عراني من لباسي ومسكني بمخالبه وأخذ بخناقني حتى خمدت أنفاسي
(٥)
... ..

١- انخرام في سطرين . ويتضح مما سيلي ان أنكيدو ندم على كيل اللعنات ، فبدلها بركات ، فيعاود الخطاب إلى البغي .

٢- في ترجمة أخرى : سيضرب الشباب فخذة من أجلك

٣- هذا من نذر الموت

٤- " زو " طير الصاعقة في أساطير العراق القديم

٥- انخرام من نحو (١٢) سطرأ وقد ترجم النص السابق لها بتصريف

لقد بدل هيئتي فصارت يداي مثل جناحي طائر مكسوتين بالريش (١)
نظر إلي وقادني إلى دار الظلمة إلى مسكن " أركلا " (٢)
إلى الدار التي لا يرجع منها من دخلها
إلى الطريق الذي لا رجعة لسالكه
إلى الدار التي حرم ساكنوها من النور
حيث التراب طعمهم والطين قوتهم
وهم مكسوون كالطير بأكسية من أجنحة الريش
ويعيشون في ظلام لا يرون نوراً
وفي بيت التراب الذي دخلته
شاهدت الملوك والحكماء ، فرأيتُ تيجانهم قد نزعَتْ وكدستُ ،
أجل ! رأيتُ أولئك العظام الذي لبسوا التيجان وحكموا الأرض في الأزمان الخوالي
وكان النائبون عن "أنو" و " أنليل " (٣) هم وحدهم الذين يُقدّم لهم اللحم والشواء
ويقدم لهم الخبز ويقرب إليهم الماء البارد من القرب
وفي بيت التراب الذي دخلت ، يسكن الكاهن الأعلى وخدام المعبد
ويعيش الراقى المعوذ ، والساحر
ويسكن الذين يقدمون زيت المسح للآلهة العظام
ويسكن " إيتانا " (٤) ، و " سموقان " (٥)
وتحم " ايرش كيكال " ، ملكة العالم الأسفل
" وبعلة صيري " ، كاتبة العالم السفلى تسجد أمامها
وبيدها رقيم تقرأ لها منه
ولما رفعت رأسها أبصرتني فقالت :
" من الذي أتى بهذا الرجل إلى هنا ؟
(٦)

لقد رأى صديقي رؤيا تنذر بالشر
ولما انقضى اليوم الذي رأى فيه انكيدو الرؤيا
اشتد به المرض فظل ملازماً فراشه يوماً وثانياً وثالثاً
ورابعاً وخامساً وسادساً وسابعاً وثامناً وتاسعاً وعاشراً

- ١- الغالب على تصور العراقيين القدماء لأرواح الموتى أنها كانت على هيئة الفراشة ويشاركونهم هذا التصور بعض الأقوام القديمة مثل المصريين القدماء الذين صوروا روح الميت على هيئة الفراشة ولعل أحدث بحث مقارنة عن عقائد العراقيين القدامى والعبرانيين في A.Heidel , op , cit , 137 ff .
- ٢- من أسماء آلهة العالم الأسفل وملكة ذلك العالم
- ٣- المحتمل كثيراً أن هؤلاء هم الملوك والحكام الذي كانوا يمثلون الآلهة وينوبون عنهم في حكم البشر في الأرض . وقد ترجم بعضهم النص بأن هؤلاء هم الذين يقدمون اللحم والماء كالخدم في العالم الأسفل .
- ٤- أحد ملوك كيش القدامى (وهو الملك الثالث عشر في سلالة كيش الأولى التي كانت أول سلال حكمت البلاد من بعد الطوفان) وهناك أسطورة طريفة تروي صعوده إلى السامع على ظهر نسر (انظر مجلة سومر ١٩٥١)
- ٥- إله الماشية
- ٦- الباقي من النص الآشوري مخروم وقدره نحو (٥٠ - ٥٥) سطرًا وتوجد كسرة لوح يبدو أنها تعود إلى سياق القصة هنا وتحتوي كلاماً يبدو أنه موجه من جلجامش إلى أمه ننسون ، وهو النص المترجم الذي يأتي من بعد النقص .

ونقل المرض على أنكيدو ، ومضى اليوم الحادي عشر والثاني عشر
وهو لا يزال راقداً على فراش المرض ، فدعا إليه جلجامش وكلمه قائلاً :
يا صاحبي لقد حلت بي اللعنة
فلن أموت ميتة رجل سقط في ميدان الوغى
كنت أخشى القتال
(ولكن) من يسقط في القتال يا صديقي فإنه مبارك
أما أنا فسأموت ذليلاً حتف أنفي
(١)

.....
عندما لاحت أولى بشائر الفجر قال جلجامش لصديقه :
" يا أنكيدو إن أمك ظبية وأبوك حمار الوحش ، وقد رببت على رضاع لبن الحمر
الوحشية

لتندبك المسالك التي سلكتها في غابة الأرز
وعسى ألا يبطل النواح عليك ليل نهار
وليبيك شيوخ " أوروك " ، ذات الأسواق
وليبيك الأصبع الذي أشار إلينا من ورائنا وباركنا
فيرجع صدى البكاء في الأرياف
وليندبك الدب والضبع والفهد والنمر والأيل والسبع
والعجول والظباء وكل حيوان البرية
ليندبك نهر " اولا " (٢) الذي مشينا على ضفافه
وليبيك الفرات الطاهر الذي كنا نسقي منه
لينح عليك رجال " أوروك " ، ذات الأسوار
ولينح عليك من أطعمك بالغلة
ومن مسح ظهرك بالزيت المعطر ومن سقاك الجعة
ولتبتك الزوجة التي اخترتها
وليبيك عليك الأخوة والأخوات
(٣)

.....
اصيغوا إلي أيها الشيوخ واستمعوا قلبي :
من أجل " أنكيدو " ، خلي وصديقي ، أبكي وأنوح نواح الثكلى
إنه الفأس التي في جنبي وقوس يدي
والخنجر الذي في حزامي والمجن الذي يدرأ عني ،
وفرحتي وبهجتي وكسوة عيدي
لقد ظهر شيطان رجم وسرقه مني
خلي وأخي الأصغر الذي اقتنص حمار الوحش في النجاد والنمر في البراري

١ - الباقي مفقود ثم يلي ذلك اللوح الثامن (الحقل الأول)
٢ - المحتمل أنه نهر " كارون " الآن ، الذي ورد ذكره في المصادر اليونانية والرومانية بصيغة " أولاس "
٣ - انخرام في النص ثم يأتي الحقل الثاني

أنكيدو ! صاحبي ، وأخي الأصغر الذي اقتنص
حمار الوحش في النجاد والنمر في البراري
لقد تغلبنا جميعاً على الصعاب وارتقينا الجبال
ومسكنا الثور السماوي وقتلناه
وقهرنا " خمبابا " الذي يقطن في غابة الأرز
فأي نوم هذا الذي غلبك وتمكن منك ؟
لقد طواك ظلام الليل فلا تسمعني "
ظل مطبق العينين ولم يفتحها
فجس قلبه ولكنه لم ينبض
وعند ذلك برقع صديقه كما تبرقع العروس
وأخذ يزأر حوله كالأسد
وكاللبوة التي اختطف منها أشبالها
وصار يمشي جيئةً وذهاباً أمام الفراش وهو يطيل النظر إليه
وينتف شعره المظفور ويرميه على الأرض
خلع ثيابه الجميلة ومزقها ورماها كأنها أشياء نجسة
ولما أن لاح أول خيط من نور الفجر نهض جلجامش
ونادى في صناع المدينة وصاح :
" أيها الصفار (النحاس) والصائع والجوهري وناقش الأحجار الكريمة ،
اصنعوا تمثالاً لخلي "
ثم نحت لصديقه تمثالاً جاعلاً صدره من اللازورد وجسمه من الذهب
ونصب منضدة من الخشب القوي
وإناء من اللازورد مملوءاً بالزبد
وقرب ذلك إلى " شمش "
وبدأ يندب صديقه ويرثيه :

(١)

.....
" على فراش المجد أضجعتك
وأجلستك على كرسي الراحة إلى يساري
كيما يقبل أمراء الأرض قدميك
سأجعل أهل " أوروك " ييكون عليك ويندبوك
وسيحزن عليك أهل الفرح والموسرون وسأجعلهم يقربون إليك .
وأنا لنفسى بعد أن توسد في الثرى سأطلق شعري
وسألبس جلد الأسد وأهيم على وجهي في البراري
(٢)
.....

١ - انخرام في النص من نحو ٢٥ سطراً
٢ - باقى النص مشوه تعسر ترجمته ولكن يبدو من سياق القصة أن جلجامش بعد أن أدى مراسيم الدفن الخاصة صار يندب صديقه ويبكيه ليل نهار ثم شرع يهيم في البراري إلى أن قام برحلته البعيدة قاصداً جده " أوتو - نبشتم " ليسأله عن سر الخلود ، ويأتي من بعد ذلك اللوح التاسع

من أجل أنكيديو ، خله وصديقه ، بكى جلامش بكاءً مرأً
وهام على وجهه في البراري وصار ينادي نفسه :
إذا ما مت أفلا يكون مصيري مثل أنكيديو ؟
ملك الحزن والأسى روجي
وها أنا ذا أهيم في القفار والبراري خائفاً من الموت
وإلى " اوتو - نبشتم " (١) ابن " أوبارا - توتو "
أخذت الطريق وحثت الخطى إليه
ولما أن بلغت مجازات الجبال في المساء
رأيت الأسود فتملكني الرعب
فرفعت رأسي إلى " سين " (٢) واصلت له
وابتهلت إلى عيظة الآلهات لتحميني وتحفظني "

وفي الليل اضطجع فأيقظه حلم رآه
رأى الأسود حواليه وهي تمرح بسرور في ضوء الإله " سين " (القمر)
رفع رأسه واستل سيفه من غمده
وانقض عليه كالسهم فضربها وقتك بها
(ثم بلغ جلامش جبلاً عظيماً) (٣)
وكان اسم الجبل " ماشو " (٤)
لقد بلغ جبل " ماشو "
الذي يحرس كل يوم مشرق الشمس ومغربها
والذي يبلغ علوه سمك السماء
وفي الأسفل ينحدر صدره إلى العالم الأسفل
ويحرس بابه " البشر العقارب " (٥)
الذين يبعثون الرعب والهلع ونظراتهم الموت
ويطفي جلالهم المرعب على الجبال
الذين يحرسون الشمس في شروقها وغروبها

- ١- لأول مرة يرد اسم بطل الطوفان البابلي . والمحمّل أن اسمه يعني بالبابلية " الذي رأى الحياة " وقد ورد اسم بطل الطوفان في الروايات السومرية باسم " زيسودرا " حكيم " شروباك " وكاهنها . وقد خلد هذا البطل أيضاً وأسكنته الآلهة في " دلمون " وهو موضع يرجح تعيينه بالبحرين (انظر بحثاً للمؤلف في سومر ١٩٤٧) . وانتقل اسمه إلى المآثر الإغريقية
- ٢- " سين " ، الإله القمر
- ٣- باقي النص مخروم (نحو ٣٢ سطرًا) يدل ما بقي منه على أن جلامش بلغ الجبل ولذلك وضعنا المعنى بين قوسين .
- ٤- لا يعلم بوجه التأكيد أصل هذا اللفظ فإذا كان الاسم سامياً (بابلياً) فيحتمل أنه يعني " التوأمن " ولعل ذلك إشارة إلى تصور العراقيين القدماء لجبال لبنان الغربية والشرقية .
- ٥- مخلوقات أسطورية مركبة من إنسان وعقرب

ولما أبصرهم جلامش أصفر وجهه خوفاً ورعباً
ولكنه تشجّع واقترب أمامهم
فنادى " الرجل العقرب " زوجته وقال لها :
" إن الذي جاء إلينا جسمه من مادة الآلهة
فأجابت زوجة " الرجل العقرب " زوجها وقالت :
أجل أن تثنيه إله وتثله الآخر بشر
ثم نادى الرجل العقرب جلامش
وخاطب نسل الآلهة بهذه الكلمات :
ما الذي حملك على هذا السفر البعيد ؟
وعلام قطعت الطريق الطويل وجئت إلي عابراً البحار الصعبة العبور
فأين لي القصد من المجيء إلي ؟
فأجابه جلامش قائلاً :
" أتيتُ قاصداً أبي " أوتو - نبشتم "
الذي دخل في مجمع الآلهة
جئتُ لأسأله عن (لغز) الحياة والموت "
ففتح الرجل العقرب فاه وقال مخاطباً جلامش :
لم يستطع أحد من قبل أن يفعل ذلك يا جلامش
لم يعبر أحد من البشر مسالك الجبال
حيث يعم الظلام الحالك في داخلها مسافة اثنتي عشرة ساعة مضاعفة ولا يوجد نور
(١)

.....
(فأجاب جلامش) : عزمت على أن أذهب ولو بالحزن والآلام
وفي القر والحر وفي الحشرات والبكاء
فأفتح لي الآن باب الجبال
ففتح الرجل العقرب فاه وأجاب جلامش :
مر يا جلامش ولا تخف ،
فقد أذنت لك أن تعبر الجبال وسلاسلها
وعسى أن تعود بك قدماك سالمًا
وها هو باب الجبل مفتوح أمامك "
ولما أن سمع جلامش اتبع كلمة " الرجل العقرب "
دخل باب الشمس وسار في طريقها وقطع ساعة مضاعفة
فكان الظلام دامساً ولا يوجد نور
ولم يستطع أن يرى ما أمامه ولا ما خلفه
وسار ساعتين مضاعفتين ثم أربع ساعات مضاعفة
ولم يزل الظلام حالكاً ولا نور هناك

١ - الباقي مخروم ، ويبدو من السياق أن الرجل العقرب يسترسل في وصف مسالك الجبال ووعرتها

فلم ير ما أمامه وما خلفه

(١)

.....
وسار خمس ساعات مضاعفة وست ساعات مضاعفة
وسبع ساعات مضاعفة وثمانى ساعات مضاعفة
ولم يزل الظلام دامساً ولا نور يمكنه أن يبصر ما أمامه وما خلفه
وبعد ان قطع تسع ساعات مضاعفة أحس بالريح الشمالية تلطم وجهه
ولكن الظلام لم يزل دامساً فلم يستطع أن يرى ما أمامه وما خلفه
ثم سار عشر ساعات مضاعفة وبعد إحدى عشرة ساعة مضاعفة ظهر تألق الشمس
وبعد أن قطع اثنتى عشرة ساعة مضاعفة عم النور
وأبصر أمامه أشجاراً تحمل الأحجار الكريمة . ولما رآها اقترب منها
فوجد الأشجار التي أثمارها العقيق
وتندلى الأعباب منها ومشهدا يسر الناظر
ووجد الأشجار التي تحمل اللازورد فما أحلى مرآها (٢)
(رأى الشوك والعوسج الذي يحمل الأحجار الكريمة واللؤلؤ البحري)

(٣)

.....
سدوري صاحبة الحانة الساكنة عند ساحل البحر (٤)
شاهدت جلجامش مُقبلاً وكان لباسه من الجلد
ووجهه أشعث كمن سافر سफراً طويلاً ويبدو عليه العناء والتعب
ولكن جسمه من مادة الآلهة
ف نظرت صاحبة الحانة إلى جلجامش وناجت نفسها بهذه الكلمات :
يبدو أن هذا الرجل قاتل فليت شعري إلى أين يريد ؟
فأوصدت بابها لما رآته يقترب وأحكمت غلقه بالمزلاج (٥)
وسمع جلجامش صرير الباب فنادى صاحبة الحانة وقال :
ما الذي أنكرت في يا صاحبة الحانة حتى أوصدت بابك
بوجهي وأحكمت إغلاقه بالمزلاج ؟

١- انخرام من نحو ١٥ سطوراً ولكن يمكن تكميل النص باستمرار سيره ثلاث ساعات مضاعفة ثم أربعاً وخمساً
إلخ

٢- يشبه وصف هذا البستان العجيبة ما ورد في قصص ألف ليلة وليلة
٣- باقي اللوح مخروم ولم تبق منه أجزاء واضحة تستحق الترجمة ولكن يستدل من الأجزاء القليلة أن الباقي
من اللوح يستمر في وصف تلك البستان العجيبة ويستمر النقص إلى أن نجد جلجامش في اللوح العاشر يصل
إلى ساحل البحر حيث ألتقى بصاحبة الحانة التي كان للقاءه بها صلة بطريقة الوصول إلى جده " أوتو - نيبشتم
" الخالد .

٤- في نهاية السطر ياتي التذييل ويليه اللوح العاشر والتذييل طريف كما سبق أن أثبتنا أي " اللوح التاسع من
" هو الذي رأى كل شيء " من " سلسلة جلجامش " مكتبة قصر آشور بانيبال : ملك العالم ملك بلاد آشور "
ثم يأتي اللوح العاشر وبدايته مخرومة أيضاً ووجد نصان بابلي قديم وأشوري ، فاضطررنا إلى تغيير
نصوصهما ليستمر المعنى منسجماً في سياق واحد .

٥- تذكرنا هذه الحادثة بإحدى مواد شريعة حمورابي (المادة ١٠٩) التي فرضت عقوبة قاسية على صاحبات
الحانات إذا أوين التأميرين وقطاع الطرق ولم يبلغن السلطة عنهم . وفي النص البابلي تستعمل كلمة " سايبتم
" لباعة الخمر من المادة العربية " سبأ " . والسبأ " باع الخمر

لأحظمن بابك وأكسر المدخل
وأردف جلجامش قائلاً لصاحبة الحانة :
أنا جلجامش ، أنا الذي قبضت على الثور الذي نزل من السماء وقتلته
وغلبت حارس الغابة وقهرتُ " خمبابا "
الذي يعيش في غابة الأرز وقتلتُ الأسود في مجازات الجبال .
فأجابت صاحبة الحانة جلجامش وقالت له :
" إن كنت حقاً جلجامش الذي قتل حارس الغابة
وغلبت خمبابا الذي يعيش في غابة الأرز
وقتل الأسود في مجازات الجبال ومسك ثور السماء وقتله
فلم ذبلتُ وجنتاك ولاح الغم على وجهك ؟
وعلام ملك الحزن قلبك وتبدلتُ هيئتك ؟
ولم صار وجهك أشعث كوجه من سافر سافراً طويلاً ؟
وكيف لفح وجهك الحر والقر ؟
وعلام تهيم على وجهك في البراري ؟ "
فأجاب جلجامش صاحبة الحانة وقال لها :
كيف لا تذبل وجنتاي ويمتقع وجهي
ويملاً الأسي والحزن قلبي وتتبدل هيئتي
فيصير وجهي أشعث كوجه من أنهكه السفر الطويل
ويلفح وجهي الحر والقر وأهيم على وجهي في البراري
وقد أدرك مصير البشر صاحبي وأخي الأصغر (أنكيديو)
الذي صاد حمار الوحش في البراري والنمر في البادية
والذي تغلب على جميع الصعاب
وارتقى الجبال ومسك ثور السماء وقتله
وغلّب خمبابا الذي يسكن غابة الأرز
إنه انكيديو صاحبي وخلي الذي أحببته حباً جماً
لقد انتهى إلى ما يصير إليه البشر جميعاً
فبكته أناء الليل والنهار
ندبته ستة أيام وسبع ليال
معللاً نفسي بأن يقوم من كثرة بكائي ونواحي
وامتنعت عن تسليمه إلى القبر
فأبقيته ستة أيام وسبع ليال حتى وقع الدود على وجهه
فأفزعني الموت حتى هممت على وجهي في البراري
إن النازلة التي حلت بصاحبي تقض مضجعي
أه لقد صار صاحبي الذي أحببت تراباً
وأنا ، سأضطجع في مثله فلا أقوم أبد الأبدين
فيا صاحبة الحانة أكون في وسعي أن لا أرى الموت الذي أخشاه وأرهبه ؟

فأجابت صاحبة الحانة جلجامش قائلة له :
" إلى أين تسعى يا جلجامش
إن الحياة التي تبغي لن تجد (١)
إذ لما خلقت الآلهة البشر قدرت الموت على البشرية
واستأثرت هي بالحياة (٢)
أما أنت يا جلجامش فأجعل كرشك مملوءاً
وكن فرحاً مبهجاً ليل نهار (٣)
وأقم الأفراح في كل يوم من أيامك
وأرقص وألعب ليل نهار (٤)
وأجعل ثيابك نظيفة زاهية (٥)
واغسل رأسك واستحم في الماء
ودلل الطفل الذي يمسك بيدك
وافرح الزوجة التي بين أحضانك
وهذا هو نصيب البشر "

(ولكن) جلجامش أردف مخاطباً صاحبة الحانة :
" يا صاحبة الحانة أين الطريق إلى " أوتو - نبشتم "
دليني كيف أتجه إليه ؟
فإذا أمكنتني الوصول إليه فإنني حتى البحار سأعبرها
وإذا تعذر الوصول إليه فسأهيم على وجهي في البراري
فأجابت صاحبة الحانة جلجامش وقالت له :
" يا جلجامش لم يعبر البحر قبلك أحد قط
نعم ! إن " شمش " القدير يعبر البحر حقاً
ولكن من سوى شمش يعبره ؟ إن اجتيازه صعب عسير
وما عساك صانعاً لما تبلغ مياه الموت ؟
ولكن يا جلجامش هناك " أور - شنابي " ، ملاح " أوتو - نبشتم "
وعنده صور الحجر وها هو الآن في الغابة فعسى أن تراه
وإذا أمكنك فأعبر بصحبته إلا فعد إلى موطنك "
ولما سمع جلجامش ذلك أخذ فأسه بيده واستل خنجره من حزامه
وتسلل إلى الغابة واتجه إليها (٦) فانقض عليها وكسرها وهو في سورة غضبه
ولما أبصر " أور - شنابي " ، جلجامش صاح به :

-
- ١- قارن ذلك بالمزامير . المزمور ١١٥ : ١٧
 - ٢- حرفياً في النص البابلي " وضبطت الحياة بيدها "
 - ٣- انظر سفر الجامعة ٥ : ١٨
 - ٤- انظر أيضاً سفر الجامعة ٨ : ١٥
 - ٥- سفر الجامعة ٩ : ٨ - ٩
 - ٦- أي صور الحجر . ويبدو أن هذه الصور السحرية هي التي تمكن " أور شنابي " ، ملاح " أوتو - نبشتم " ، من عبور مياه الموت في طريقه إلى أوتو - نبشتم ، الذي يقطن في جزيرة في بحر الموت .

قل ما اسمك؟ أما فاسمي " أور - شنابي "
من التابعين لـ " أوتو - نبشتم " ، القاصي
فأجاب جلجامش " أور - شنابي " وقال له :
" اسمي جلجامش " ، أنا الذي قَدَم من " أوروك " ، بيت (الإله) أنو
واجتاز الحبال وركب الأسفار الطويلة من مشرق الشمس
جئت لأراك يا " أور - شنابي "
فدلني على " أوتو - نبشتم " ، القاصي
فأجاب " أور - شنابي " جلجامش وقال له :
(ولكن) يا جلجامش لم ذبلتُ وجنتاك وامتقع وجهك ؟
وعلام غمر الحزن والأسى قلبك وتبدلت هيتك ؟
فصار وجهك أشعث كمن عانى الأسفار الطويلة ؟
ولم لفح وجهك الحر والقر وهمت على وجههم في البراري ؟
فأجاب جلجامش " أور - شنابي " وقال له :
يا " أور - شنابي " ، كيف لا تذبل وجنتاي ويمتقع وجهي ؟
ويغمر الحزن والأسى قلبي ، وتتبدل هيتي ؟
وكيف لا يصير وجهي أشعث كمن أنكه السفر الطويل ؟
ويلفح وجهي الحر والقر ، وأهيم على وجهي في البراري ؟
وأن خلي ، وأخي الصغير الذي طارد حمار الوحش في البرية واصطاد النمر في
البوادي
إنه انكيدو ، خلي وأخي الأصغر
الذي تغلب على جميع الصعاب وارتقى أعالي الجبال
الذي مسك ثور السماء وقتله
صديقي وخلي الذي أحببته حباً جماً والذي صاحبني في كل الصعاب
قد أدركه مصير البشرية
فبكيته ستة أيام وسبع ليال
حتى سقط الدود على وجهه
لقد أفز عني الموت حتى همت على وجهي في القفار والبراري
فالنزلة التي حلت بصديقي قد أوهنتني وأقضت مضجعي
فهمت على وجهي في البراري
إذ كيف أهدأ ويقر لي قرار
وصديقي الذي أحببت قد صار تراباً
وأنا أفلا أكون مثله فأضطجع ضجعة لا أقوم من بعدها
أبد الدهر ؟
ثم أردف جلجامش وخاطب " أور - شنابي " وقال :
الآن يا أور - شنابي أين الطريق إلى " أوتو - نبشتم "
أين الاتجاه إليه ؟ دلني على الطريق إليه
فإذا استطعت الوصول إليه فحتى البحار سأعبرها

وإذا تعذر بلوغ مرادي فسأظل هائماً على وجهي في البراري
فقال " أور - شنابي " لجلجامش
يا جلجامش يداك هما اللتان منعتاك من عبود البحر
لأنك حطمت صور الحجر (١) وأتلفتها
وإذا تحطمت صور الحجر فلا يمكننا العبور
والآن خذ الفأس بيدك يا جلجامش
وانحدر إلى الغابة واقتطع منها مائة وعشرين " مرديا " طول كل منها ستون ذراعاً
واطلها بالقيرو غلف كعوبها بالمعدن وأحضرها إلي "
ولما سمع جلجامش هذا أخذ الفأس بيده
وانحدر إلى الغابة واقتطع منها مائة وعشرين مرديا طول كل منها ستون ذراعاً
وطلاها بالقيرو غلف كعوبها بالمعدن وجاء بها إليه .

١ - انظر الصفحة السابقة

الفصل الرابع

قصة الطوفان

كما يرويها " أوتو - نبشتم " الخالد لجلجامش

ركب جلجامش و " أور - شنابي " في السفينة
انزلا السفينة في الأمواج وهما على ظهرها
وفي اليوم الثالث قطعاً في سفرهما ما يعادل شهراً وخمسة عشر يوماً من السفر
العادي

وهكذا بلغ " أور - شنابي " مياه الموت
وعندئذ نادى " أور - شنابي " جلجامش وقال له :

هيا يا جلجامش خذ مرديا وادفع به
وحذار أن تمس يدك مياه الموت

أسرع يا جلجامش وتناول مرديا ثانياً وثالثاً ورابعاً
يا جلجامش خذ " مرديا " خامساً وسادساً وسابعاً
خذ يا جلجامش " مرديا " ثامناً وتاسعاً وعاشراً
خذ " مرديا " حادي عشر وثاني عشر "

وبمائة وعشرين دفعة " مرديا " استنفذ جلجامش كل " المرادي " (١)

ثم شمّر جلجامش عن يديه ونزع ثيابه ونشر يديه القلوع
وكان " أوتو - نبشتم " قد شاهد السفينة من بعيد فنادى نفسه بهذه الكلمات
علام دمرت " صور الحجر " الخاصة بالسفينة ؟

ولم يركب في السفينة شخص غريب غير صاحبها ؟
فإن الرجل الآخر الآتي ليس من أتباعي

(بقية النص مخرومة ولكن يتضح من السياق أن جلجامش يلتقي بجده " اوتو -
نبشتم " فيسأله هذا عن سبب مجيئه وهي نفس الأسئلة التي وجهها إليه صاحبة الحانة
والملاح ، وقد حذفناها من الترجمة لتكررها مرتين فيجيبه جلجامش نفسها تقريباً وقد
أثبتنا ترجمتها لأن فيها بعض التغيير والزيادة) :

أجاب جلجامش أوتو - نبشتم وقال له :

يا " اوتو - نبشتم " كيف لا تذبل وجنتاي ويمتقع وجهي
ويغمر الحزن قلبي وتتبدل هيئتي ويصير وجهي أشعث

كمن أنهكه السفر الطويل ويلفح وجهي الحر والقر

وأهيم على وجهي في البراري ، وإن خلي وأخي الأصغر الذي طارده حمار الوحش
في البرية واصطاد النمر في البوادي

إنه انكيدو الذي تغلب على جميع الصعاب وارتقى أعالي الجبال .

١- لأنهما كانا يمخران في " مياه الموت " فإن جلجامش لم يستعمل " المردي " الواحد إلا لدفعة واحدة وبعد
أن يغطس معظم طوله يرميه في اليم مخافة أن تلمس يده مياه الهلاك

الذي أمسك ثور السماء وقتله ، والذي غلب " خمبابا " الذي يسكن في غابة الأرز
صديقي وخلي الذي أحببته حباً جماً والذي صاحبني في جميع الصعاب قد أدركه مصير البشرية
فبكيتها ستة أيام وسبع ليال ولم أسلمه للقبر حتى وقع الدود على وجهه
لقد أفرغني الموت حتى همت على وجهي في البراري فالنزالة التي حلت بصديقي قد جثمت بثقلها على صدري
وأقضت مضجعي حتى همت مطوفاً في البراري إذ كيف أهدأ ويقر لي قرار ، وإن صديقي الذي أحببت قد صار تراباً
وأنا ألا ساكون مثله فأهجع هجعة لا أنهض من بعدها
أبد الدهر ؟
ثم أردف جلامش وخاطب " أوتو - نبشتم " قائلاً :
ولذا تراني قد جئت لأرى " أوتو - نبشتم " الذي يدعونه " القاصي " لقد طوفت في كل البلاد واجتزت الجبال الوعرة وعبرت كل البحار
لم يغمض لي جفن ولم أدق طعم النوم لقد أنهكني السير والترحال وحل بجسمي الضنى التعب
ولم أكد أبلغ بيت " صاحبة الحانة " حتى خلقت ثيابي وتمزقت لقد قتلت الدب والضبع والأسد والفهد والنمر والضبي والأيل والوعل وجميع حيوان
البر
أكلت لحومها واكتسيت بفروها
(١)
.....
قال " أوتو - نبشتم " لجلامش :
" إن الموت قاس لا يرحم متى بنينا بيتاً يقوم إلى الأبد ؟
متى ختمنا عقداً يدوم إلى الأبد ؟
وهل يقتسم الأخوة ميراثهم ليبقى إلى آخر الدهر ؟
وهل تبقى البغضاء في الأرض إلى الأبد ؟ (٢)
وهل يرتفع النهر ويأتي بالفيضان على الدوام والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها فتبصر وجه الشمس حتى يحل أجلها
ولم يكن دوام وخلود منذ القدم (٣)
وياما أعظم الشبه بين النائم والميت !
ألا تبدو عليهما هيئة الموت ؟

١- باقي النص مخروم منه نحو ٤٢ سطرأ
٢- قارن سفر الجامعة ٩ : ٦
٣- قارن سفر الجامعة : ١ : ١١ ، ٤ : ٢ ، ١٦ : ٩ ، ٥ : ٣ ، ١٩ :

ومن ذا الذي يستطيع أن يميز بين العبد والسيد إذا جاء أجهما ؟
 إن " الأثوناكي " (١) ، الآلهة العظام تجتمع مسبقاً
 ومعهم " مامتم " ، صانعة الأقدار تقدر معهم المصائر
 قسموا الحياة والموت (٢)
 ولكن الموت لم يكشفوا عن يومه "
 وقال جلجامش لـ " أوتو - نبشتم " ، القاصي (٣) :
 ها إنني انظر إليك يا أوتو - نبشتم
 فلا أرى هينتك مختلفة ، فأنت مثلي لا تختلف عني
 أجل ! فأنت لم تتبدل بل أنك تشبهني
 لقد كنتُ أحسبك كاملاً كالبطل على أهبة القتال
 فإذا بي أشاهدك خاملاً مضطجعاً على ظهرك
 فقل لي كيف دخلت في مجمع الآلهة ونلت الحياة (الخالدة) ؟ "
 فأجاب " أوتو - نبشتم " جلجامش وقال له :
 " يا جلجامش سأفتح لك عن سر محجوب
 سأطلعك على سر من أسرار الآلهة :
 " شرباك " (٤) ، المدينة التي تعرفها أنت
 والراكبة على شاطئ نهر الفرات
 إن تلك المدينة قد تقادم العهد عليها وكان الآلهة فيها
 فرأى الآلهة العظام أن يحدثوا طوفاناً وقد زينت لهم قلوبهم ذلك
 لقد اجتمعوا وكان معهم " أنو " أبوهم
 و " أنليل " البطل مشيرهم
 و " ننورتا " مساعدهم (وزيرهم)
 و " أنوكي " ، حاجبهم (٥)
 وكان حاضراً معهم " نن - أيكي - كو " ، أي " أيا "
 فنقل هذا كلامهم إلى كوخ القصب وخاطبه :
 " يا كوخ القصب ! يا كوخ القصب ، يا جدار ، يا جدار !

١- اسم عام يطلق على مجموع الآلهة وبوجه خاص آلهة العالم الأسفل بصفتها قضاة ذلك العالم .

٢- قارن سفر التثنية ٣٠ : ١٩

٣- بهذا السطر يبتدى اللوح الحادي عشر وفي نهاية اللوح العاشر يوجد سطر التذييل المؤلف : " اللوح العاشر " ، من " هو الذي رأى كل شيء " من سلسلة " جلجامش " ، مكتبة " آشور بانبيال " ، ملك العالم ، ملك بلاد آشور .

٤- " شروباك " ، وتُعرف اطلالها الآن باسم " فارة " بالقرب من الوركاء على نحو ١٨ ميلاً إلى الجهة الشمالية الغربية . وكانت من المدن السومرية الشهيرة ، وموطن بطل الطوفان البابلي " اوتو - نبشتم " وجاء ذكرها في إقبات الملوك السومرية من بين المدن الخمس التي حكمت فيها سلالات قبل الطوفان (انظر المقدمة) . وستأتي الإشارة في الملحمة إلى أن الآلهة كانوا يحكمون في هذه المدينة في أزمان ما قبل الطوفان حيث كانت الملوكية بيد الآلهة . وبعد حدوث الطوفان صعدت الملوكية إلى السماء ثم رجعت إلى الأرض من بعد الطوفان ، وكانت أول سلالة حاكمة في البلاد سلالة كيش الأولى .

٥- بعضهم يترجم ذلك بمأمور أو موظف خاص بالرئ أو الوزير أو الرسول .

اسمع يا كوخ القصب وافهم يا حائط (١)
يا رجل " شروباك " ، يا ابن " اوبرا - توتو " !
قوِّض البيت وابن لك فلماً (٢) (سفينة)
تخل عن مالك وانج بنفسك
انبذ الملك وخلص حياتك
واحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة (٣)
والسفينة التي ستبني عليك أن تضبط مقاسها (قياسها) :
ليكن عرضها مثل طولها (٤)
واختمها جاعلاً إياها مثل مياه " العمق "
ولما وعيت ذلك قلت لربي " أيا " :
" سمعاً يا ربي سأصعد بما أمرتني به
ولكن ما عساني أن أقول للمدينة ؟ بم سأجيب الناس والشيوخ ؟ "
ففتح " أيا " فاه وقال مخاطباً إياي ، أنا عبده :
قل لهم هكذا : " إني علمت أن " أنليل " يبغضني
فلا أستطيع العيش في مدينتكم بعد الآن
ولن أوجه وجهي إلى أرض أنليل وأسكن فيها
بل سأرد إلى الـ " أبسو " (٥) وأعيش مع " أيا " ربي
وعليكم سينزل وابلأ من المطر غزيراً
ومن مجامع الطير (٦) وعجائب الأسماك
وسيغدق عليكم الغلال والخيرات
وفي المساء سيمطركم الموكل بالزوابع بمطر من قمح (٦) "
ولما نورّت اولى بشائر الصباح
تجمع البلد حولي
جلبلوا إلي قرابين الغنم النفيسة
وأحضروا إلي قرابين من ماشية مراعي السهوب
(٧)
.....

١- الخطاب كما لا يخفى موجه بطريق المجاز إلى صاحب الكوخ وهو " اوتو - نبشتم "

٢- قارن نص التوراة سفر التكوين ٦ : ١٤

٣- سفر التكوين ٦ : ١٩ - ٢٠

٤- سفر التكوين ٦ : ١٥

٥- مياه العمق " الأيسو " وكانت في مآثر العراق القديم ، المياه السفلى حيث موطن إله المياه " أيا " ن وقد يكون بالأيسو عن مياه المحيط السفلى حيث كانوا يعتقدون أن الأنهار والاهوار تخرج من تلك المياه ، على أن المقصود هنا على ما يرجح الأهوار الممتدة في رأس الخليج .

٦- استعمل الكاتب تورية من الكلمتين البابليتين " kuku , kibati " اللتين تعنيان معنى مزودجاً إما الطعام أو الهلاك . وقد قصد " أيا " من هذه التورية أن يفهم عامة الناس أن هذا بشري بالخير . أما بالنسبة إلى " اوتو - نبشتم " فيعني حدوث الطوفان الذي كان على وشك الوقوع .

٧- انخرام من أربعة أسطر

وحمل الكبار كل الحاجات الأخرى
 جلب إلي الصغار منهم القير
 وفي اليوم الخامس أقيمت هيكلها (بنيتها) (١)
 وكان سطح أرضها " أيكو " (٢) واحداً وعلو جدرانها مائة وعشرين ذراعاً (٣)
 وطول كل جانب من جوانب سطحها الأربعة مائة وعشرين ذراعاً (٤)
 عينت شكلها الخارجي هكذا وبنيتها
 وجعلت فيها ستة طوابق تحتانية (٥)
 وبهذا قسمتها إلى سبعة أقسام (طوابق)
 وقسمت أرضيتها إلى تسعة أقسام (٦)
 وحشوتها وعرزت فيها " أوتاد الماء " (٧)
 ووضعت فيها " المرادي " وجهازها بالمؤن
 لقد سكبت ستة شارات من القير في الكورة (٨)
 وسكبت أيضاً ثلاث شارات من القطران (الأسفلت)
 وجلب حاملو السلال ثلاثة (شارات) من السمن
 بالإضافة إلى " شار " واحد من السمن استنفذه نفع " أوتاد الماء "
 وشارين من السمن اختزنهما الملاح
 ثم (ذبحت البقر وطبختها للناس) (٩)
 نحرث الأغنام في كل يوم
 قدمت إلى الصناعات عصير الكرم والخمر الأحمر والزيت والخمر الأبيض
 سقيت الصناعات بكثرة كماء النهر
 سيعيدوا ويفرحوا كما في يوم رأس السنة
 ومسحت يدي بالزيت
 وتم بناء السفينة في اليوم السابع عند مغرب الشمس
 وكان إنزالها (إلى الماء) أمراً صعباً
 فكان عليهم أن يبدلوا ألواح القاع في الأعلى وفي الأسفل
 إلى أن غطس في الماء ثلثاه

- =====
- ١- أي هيكل السفينة وفي الأصل البابلي " بنيتها "
 - ٢- الـ " أيكو " مساحة سطحية يعادل نحو ٣٦٠٠ م مربعاً أي نحو " ايكر " واحداً أما الذراع البابلي فقد سبق أن ذكرنا أنه يساوي نحو نصف متر فتكون مساحة سطحها ٣٦٠٠ م مربعاً وبما أن ارتفاعها ٦٠ متراً (١٢٠ ذراعاً) فيكون شكل سفينة " اوتو - نبشتم " مكعباً منتظماً سعته نحو (٢١٦٠٠) متراً مكعباً .
 (انظر Schott , op , eit , 88 , notes)
 - ٣- قارن في هذا الباب أبعاد سفينة نوح كما وردت في سفر التكوين ٦ : ١٥
 - ٤- بعد أن عين " اوتو - نبشتم " هيكلها العام وشكلها الخارجي وضع الألواح ووصل ما بينها وبنائها
 - ٥- أي أن كل طابق من الطوابق السبعة قد قسم إلى تسعة أقسام أو مقاصير . ومصطلح أوتاد الماء واضح . وهو ما يستعمل في بناء السفن بغرز حشوات خشبية في فواصل الألواح لمنع الماء من النفاذ إليها . وفي الأصل البابلي " سكك " أو " سكات " بالجمع .
 - ٦- قارن سفر التكوين ٦ : ١٦
 - ٧- قارن سفر التكوين ٦ : ١٤
 - ٨- قارن سفر التكوين ٦ : ٢١

ثم حملت فيها كل ما أملك من ذهب
وحملت فيها مل ما كان عندي من المخلوقات الحية (١)
أركبتُ في السفينة جميع أهلي ونوي قرباى
وأركبتُ فيها حيوان الحقل وحيوان البر وجميع الصناعات (٢)
وحدد لي الإله شمش موعداً معيناً بقوله (٣) :
" حينما ينزل الموكل بالعاصفة في المساء مطر الهلاك
فأدخل في السفينة وأغلق بابك "
وحل أجل الموعد المعين .
وفي المساء انزل إلى الموكل بالعاصفة مطراً مهلكاً
وتطلعت إلى الجو فكان مكفهراً مخيفاً
فولجتُ في السفينة وأغلتُ بابي
وأسلمت دفة السفينة إلى الملاح " بوزر - آموري "
اعطيتهُ " البناء العظيم " (٤) وما يحويه من متاع
ولما ظهرت أنوار السحر
ظهرت من الأفق البعيد (من أسس السماء) غمامة سوداء (٥)
وفي داخلها أرعد الإله " أدد " (٦)
وكان يسير أمامه " شلات " و " خانيش " (٧)
وهما ينذران أمامه في الجبال والسهول
وقلع الإله " ايراكل " (٨) الدعائم
ثم أعقبه الإله " نورتا " وفتق السدود
ورفع " الأنوناكي " المشاعل
و أضأوا بأنوارها الأرض
ولكن بلغت رعود الإله " أدد " عنان السماء "
فأحالت كل نور إلى ظلمة
وتحطمت الأرض الفسيحة كالكوز (الجرة)
وظلت زوابع الريح الجنوبية تهب يوماً كاملاً
وازدادت شدة في مهبتها حتى غمرت الجبال (٩)
وفتكت بالناس كأنها الحرب العوان
وصار الأخ لا يبصر أخاه

١- سفر التكوين ٧ : ٧ - ٨

٢- سفر التكوين ٧ : ١٣ - ١٦

٣- في الموارد السابقة كان " أيا " هو الإله الذي أنذر " أوتو - نيبستم " بموعد حلول الطوفان

٤- في الأصل " القصر " أو " الهيكل " أي السفينة

٥- قارن سفر التكوين ٧ : ١١

٦- إله الزوابع والرعود

٧- من رسل الإله " أدد "

٨- " ايراكل " من آلهة العالم الأسفل ولعله اسم من أسماء الإله نرجال " نرجول في التوراة " إله العالم الأسفل والمقصود بالدعائم هنا دعائم " سد العالم " الذي يحبس المياه السفلى .

٩- سفر التكوين ٧ : ٢٠ - ٢٢

ولا البشر يميزون من السماء
 وحتى الآلهة ذعروا وخافوا من عباب الطوفان
 فانهمزوا وعرجوا إلى سماء " أنو " (١)
 لقد استكان الآلهة وربضوا كالكلاب إزاء الجدار الخارجي
 وصرخت عشتار كالمرأة في ساعة مخاضها
 انتحبت سيدة الآلهة وناحت بصوتها الشجي نادبة :
 " واحسرتاه لقد عادت الأيام القديمة إلى طين (٢)
 لأنني أنا نطقتُ بالشر في مجمع الآلهة
 فكيف نطقتُ بالشر في مجمع الآلهة ؟
 لقد سلطتُ الدماء على خلقي (٣)
 وأنا التي ولدتُ خلقي هؤلاء
 لقد ملأوا اليم كصغار السمك " وبكى آلهة الأنوناكي وهم منكسو الرؤوس
 وندبوا وقد يبست شفاههم
 ومضت ستة أيام وسبع ليال
 ولم تزل الزوابع تعصف وقد غطى عباب الطوفان الأرض
 ولما حل اليوم السابع خفت وطأة زوابع الطوفان في شدة وقعها
 وقد كانت كالجيش في الحرب العوان
 وهدأ اليم وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان (٤)
 وتطلعت إلى الجو ، فرأيتُ السكون عاما
 فتحت كوة فسقط النور على وجهي (٥)
 ورأيت البشر وقد عادوا جميعاً إلى طين
 فركعتُ وجلستُ أبكي فانهمرت الدموع على وجهي
 وتطلعت إلى حدود (معالم) سواحل اليم
 فرأيتُ بقاع الأرض العالية تظهر من مسافة أربع شعرة ساعة مضاعفة
 واستقر الفلك على جبل نصير (٦)

١- " أنو " إله السماء وكانت سماء أنو بحسب تصور العراقيين القدماء أعلى سماء من السموات السبع

٢- قارن سفر التكوين ٧ : ٢٣

٣- قارن سفر التكوين ٨ : ٢١

٤- سفر التكوين ٨ : ١ - ٢

٥- سفر التكوين ٨ : ٦

٦- قارن رواية الطوفان سفر التكوين ٨ : ٤ . حيث الجبل الذي استقرت عليه السفينة أحد جبال " أراراط " .
 وأراراط اسم أرمينية القديم . وورد ذكره في الكتابات المسمارية باسم " أورارطو " وإذا صحت قراءة الاسم
 كما في ملحمة جلجامش ، فإن معنى " جبل نصير " في البابلية جبل الخلاص ، وورد اسم جبل نصير في
 أخبار الملك الأشوري آشور ناصرال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق . م) والذي يقع بحسب هذه الأخبار إلى جنوبي
 وادي الزاب الصغير . وقد ذكر مصحوباً باسم الكوتين وقد عينه بعضهم بجبل " بييرة مكرون " ، الجبل الشهير
 القريب من السليمانية الذي يرتفع نحو ٩ آلاف قدم ، ويبعد عن " شروباك " موطن أوتو - نبشتم ، بنحو ٤٥٠
 كم إلى الشمال الشرقي . وكان يعرف إلى عهد قريب أيضاً باسم " بير عمر كودرون) وجاء اسم الجبل بحسب
 رواية " بيروسوس " (برعوشا ، الكاتب البابلي في القرن الثالث ق . م) باسم جبل " الكورديين " أي جبل
 الأكراد . وفي المآثر العربية (القرآن الكريم) والمآثر السريانية كان الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح جبل
 الجودي .

لقد مسك جبل " نصير " السفينة ولم يدعها تجري
ومضى يوم ويوم ثانٍ وجبل " نصير " ممسك بالسفينة فلم تجر
ومضى يوم ثالث ورابع وجبل نصير ممسك بالسفينة ولم يدعها تجري
وكان يوم خامس وسادس وجبل نصير ممسك بالسفينة
ولما أتى اليوم السابع أخرجت حمامة وأطلقتها (تطير)
طارت الحمامة ثم عادت (١)
رجعت لأنها لم تجد موضعاً تحط فيه
وأخرجت السنونو وأطلقتها
ذهب السنونو وعاد لأنه لم يجد موضعاً يحط فيه
ثم أخرجتُ غراباً وأطلقته (٢)
فذهب الغراب ولما رأى المياه قد انحسرت
أكل وحام وحط ولم يعد
وعند ذلك أطلقتُ كل شيء إلى الجهات الأربع وقربت قرباناً
وسكبت الماء المقدس على قمة (زقورة) الجبل (٣)
ونصبت سبعة وسبعة قدور للقربان
وكدستُ تحتها القصب الحلو (٤) وخشب الأرز والأس
فنتسم الآلهة عرفها (شذاها) (٥)
أجل تشمم الآلهة عرفها الطيب
فتجمع الآلهة على صاحب القربان كأنهم الذباب
ولما حضرت الآلهة العظيمة (عشتار)
رفعت عقد الجواهر الذي صنعه لها " أنو " وفق هواها وقالت :
" أيها الآلهة الحاضرون كما أنني لن أنسى عقد اللازورد هذا الذي على جيدي
سأتذكر هذه الأيام ولن أنساها (٦)
ليتقدم الآلهة إلى القرايين
أما " أنليل " فحذار أن يقترب من القرايين
لأنه لم يترو فأحدث الطوفان
وأسلم خلقي إلى الهلاك "

- ١- قارن سفر التكوين ٨ : ٨ - ١٠
٢- سفر التكوين ٨ : ٧ . وقد وصف حدث إطلاق الطيور في التوراة بإسهاب فعند ظهور قمم الجبال بعد مرور أربعين يوماً من بدء الطوفان أطلق نوح غراباً (التكوين ٨ : ٥ - ٧) وظل هذا الطائر يحوم حتى انحسار الطوفان ولم يعد إلى الفلك ، وبعد سبعة أيام أطلق نوح الحمامة التي لم تجد موضعاً تحط فيه فعادت (٨ : ٨ - ٩) وبعد سبعة أيام أخرى أطلق نوح حمامة أخرى فوجدت هذه طعاماً وبعض المواضع اليابسة ولكنها عادت حاملة معها غصن زيتون غض (٨ : ١٠ - ١١) . وبعد سبعة أيام أطلق نوح حمامة ثالثة وهذه لم تعد إلى الفلك (٨ : ١٢) فكان ذلك علامة على انحسار الماء حتى من الأجزاء الواطنة من الأرض
٣- قارن سفر التكوين ٨ : ١٩ - ٢٠
٤- لعله قصب السكر
٥- سفر التكوين ٨ : ٢١
٦- يقارن بعضهم هذا الحادث بعلامة القوس قزح الذي كان في التوراة آية عهد الله إلى نوح بعدم تكرار حدوث الطوفان

ولما أن جاء " أنليل " وشاهد الفلك (السفينة) استشاط غيظاً
حنق على آلهة الـ " أكيكي " (١) وقال :
" عجباً كيف نجت نفس واحدة ، وقد كان المقدر أن لا ينجو بشر من الهلاك ؟
افتتح الإله : ننورتا " (٢) فمه وقال مخاطباً البطل " أنليل " :
" من ذا الذي يستطيع أن يدبر مثل هذا الأمر غير " آيا " ؟
فإن آيا وحده هو الذي يعرف خفايا كل الأمور
وعند ذاك فتح " آيا " فاه وقال مخاطباً " أنليل " البطل :
أيها البطل أنت أحكم الآلهة
فكيف ، كيف أحدثت عباب الطوفان بدون أن تتروى ؟
حمل صاحب الخطيئة وزر خطيئته
وحمل المتعدي إثم اعتدائه
ولكن كن رحيماً في العقاب لئلا يهلك ولا تهمله فيمعن في الشر
ولو أنك بدلاً من إحداثك الطوفان (٣) سلطت السباع على الناس فقللت من عددهم
ولو أنك بدلاً من إحداثك الطوفان سلطت الذئاب فقللت من عدد الناس
وبدلاً من الطوفان لو أنك أحدثت القحط في البلاد
وبدلاً من الطوفان لو أن " آيرا " (إله الطاعون) فتك بالناس
أما أنا فلم أفش سر الآلهة العظام
ولكنني جعلت " اترا - حاسس " (٤) يرى رؤيا فأدرك سر الآلهة
والآن قرر مصيره "
ثم صعد أنليل إلى السفينة
ومسكني من يدي واركبني معه في السفينة
وأركب معي أيضاً زوجي وجعلها تسجد جانبي
ثم وقف ما بيننا ولمس ناصيتينا وباركنا قائلاً
" لم يكن " " أوتو - نبشتم " قبل الآن سوى بشر
ولكن منذ الآن سيكون " أوتو - نبشتم " وزوجه مثلنا نحن الآلهة
وسبعيش أوتو - نبشتم بعيداً عند " فم الأنهار "
ثم أخذوني بعيداً عند " فم الأنهار "
والآن من سيجمع الآلهة من أجلك ؟

-
- ١- اسم جمع يطلق على آلهة السماء
٢- " ننورتا " ابن الإله " أنليل " ، وإله الحرب ورسول الآلهة
٣- قارن سفر الجامعة ١٤ : ١٣ - ٢١
٤- " اترا - حاسس " معناه بالبابلية " المُقرط أو المتناهي في الحكمة أو الحس " وهي صفة أو اسم آخر
لبطل الطوفان " أوتو - نبشتم " . وتوجد قصة بابلية أخرى عن الطوفان تدور على " اترا - حاسس " (انظر A.Heidel , op , eit) ومجلة سومر " (١٩٥١)

تعال امتحنك ! لا تتم ستة أيام وسبع ليال "

ولكن وهو لا يزال قاعداً على عجزه إذا سنة من النوم
تأخذه وتتسلط عليه كالضباب
فالتفت " أوتو - نبشتم " إلى امرأته وخاطبها قائلاً :
انظري (وتأملي) هذا الرجل القوي الذي ينشد الحياة !
لقد أخذته سنة من النوم وتسلطت عليه كالضباب
فأجابت زوجة " أوتو - نبشتم " زوجها وقالت له :
" ألمس الرجل كيما يستيقظ
ويعود أدراجه سالمًا في الطريق الذي جاء منه بسلام
ليعد إلى بلاده من الباب الذي خرج منه
فأجاب " أوتو - نبشتم " امرأته وقال :
" لما كان الخداع من شيمة البشر فإنه سيعمد إلى خداعك (١)
فهلمي أخبزي له أرغفة من الخبز وضعيها عند رأسه
والأيام التي ينام فيها أشريها في الجدار
فخبزت له أرغفة من الخبز ووضعتها عند رأسه
وعملت (أشرت) الأيام التي نامها في الجدار
فأصبح الرغيف الأول يابساً وتلف الرغيف الثاني والثالث لم يزل رطباً
وابيضت قشرة الرغيف الرابع
والخامس لم يزل طرياً والسادس قد خبز في الحال
ولما كان الرغيف السابع لا يزال على الجمر مسه فاستيقظ (٢) الرجل
(وعندما استيقظ) جلجامش قال له " أوتو - نبشتم " القاصي :
" لم تكدي سنة النوم تأخذني حتى مستني فأيقظتني "
فأجاب " أوتو - نبشتم " جلجامش قائلاً له :
يا جلجامش عد أرغفتك فيعلمك المؤشر على الحائط عدد الأيام التي نمت فيها
فقد يبس رغيفك الأول والثاني لم يعد صالحاً
والثالث لا يزال طرياً وتحولت قشرة الرابع بيضاء والسادس لا يزال طرياً
والسابع - إذا بك تستيقظ !
فقال جلجامش لـ " أوتو - نبشتم " القاصي :
ماذا عساي يا " أوتو - نبشتم " أن أفعل وإلى أين أوجه وجهي ؟
وها أن " المفرق " (٣) قد تمكن من جوارحي
أجل في مضجعي يقيم الموت .
ثم قال أوتو - نبشتم لـ أور شنابي الملاح :

١- قارن عبارة التوراة الواردة في سفر التكوين ٨ : ٢١

٢- أي أن أوتو - نبشتم مس جلجامش

٣- المفرق أو المثل يعني الموت (هادم الذات ومفرق الجماعات)

" يا أور - شنابي ! عسى أن لا يرحب بمقدمك المرفأ
وليبراً منك موضع العبور
ولتذهب مطروداً من الشاطئ
والرجل الذي قدته إلى هنا يجلل جسمه الشعر والوسخ
وشوهت جمال أعضائه أردية الجلود
خذه يا أور - شنابي ، وقده إلى موضع الاغتسال
ليغسل في الماء أوساخه حتى يصبح نظيفاً كالثلج
لينزع عند جلود الحيوان وليرمها في البحر حتى يتجلى جمال جسمه
ودعه يجدد عمامة (عصابة) رأسه
ودعه يلبس حلة تستر عريه
وإلى أن يصل إلى مدينته وحتى ينهي طريق سفره
لا تدع آثار القدم تبدو على لباسه بل لتحافظ على جدتها (١)
فأخذه " أور - شنابي " إلى موضع الاغتسال (١)
وغسل أوساخه وشعره حتى بدأ نظيفاً كالثلج
ونزع عنه لباس الجلد ، فجرها البحر حتى تجلى جمال جسمه
وجدد عمامته حول رأسه
وألبسه حلة كست عريه
وإلى أن يصل إلى مدينته وينهي طريق سفره
جعل ثيابه جديدة على الدوام
ثم ركب جلجامش وأور - شنابي في السفينة
وانزلا السفينة في الأمواج وتهياً للبحار
(وإذاك) خاطبت امرأة أوتو - نبتشم زوجها وقالت له :
لقد جاء جلجامش إلى هنا وقاسى المشقة والتعب
فماذا عساك أن تمنحه وهو عائد إلى بلاده ؟ "
وكان جلجامش في تلك اللحظة قد رفع مرديه
وقرب السفينة إلى الشاطئ
فأدركه " أوتو - نبتشم " وخاطبه قائلاً
لقد جئت يا جلجامش إلى هنا وقد عانيت التعب والعناء
فماذا عساني أن أمنحك حتى تعود إلى بلادك ؟
سأفتح لك يا جلجامش سراً خفياً
أجل سأبوح لك بسر من أسرار الآلهة
يوجد نبت مثل الشوك ينبت في المياه

١- يرى بعض الباحثين أن هذه كانت محاولة أول يقوم بها " أوتو - نبتشم " جلجامش دائم الشباب باغتساله في مياه الشباب وإكسائه بكسوة الشباب الدائم قبل أن النبات الذي يجدد الشباب (قارن ذلك بأسطورة الأسكندر الكبير وبحثه عن نبع الحياة الظلمات)

إنه كالورد شوكة يخز كما يدرك كما يفعل الورد
فإذا ما حصلت يداك على هذا النبات وجدت الحياة الجديدة "
وما أن سمع جلجامش هذا القول ، حتى فتح المجرى الذي أوصله إلى المياه العميقة
وربط برجليه أحجاراً ثقيلة
ونزل إلى أعماق المياه حيث أبصر النبات
فأخذ النبات الذي وخز يديه
وقطع الأحجار الثقيلة من رجليه
فخرج من الأعماق إلى الشاطئ
ثم قال جلجامش لـ " أور - شنابي " الملاح :
" يا أور - شنابي " إن هذا النبات نبات عجيب
يستطيع المرء أن يطيل به حياته
لأخذته معي إلى " أوروك " ، الحمى والسور
وأشرك معي (الناس) ليقطعوه ويأكلوه
وسيكون اسمه " يعود الشيخ إلى صباه كالشباب "
وأنا سأكله في آخر أيامي حتى يعود شبابي (١)
(ثم بعد هذا) سارا وبعد أن قطعا عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد
وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل
(وبعد ذلك) أبصر جلجامش بركة ماء ماؤها بارد
فنزل فيها ليغتسل في مائها
فشمت حية (صل) عرف النبات
وخرجت (من الماء) واختطفت النبات
وفي عودتها نزعته عنها جلدها (٢)
فجلس جلجامش عند ذلك وأخذ يبكي
حتى جرت دموعه على وجنته
فكلم " أور - شنابي " الملاح (وخاطبه) قائلاً :
من أجل من يا أور - شنابي ، كلت يداي ؟
ومن أجل من استنزفت دم قلبي ؟
لم أحقق لنفسي مغنماً
أجل ! لقد حققت المغنم إلى " أسد التراب " (٣)
أبعد مسافة عشرين ساعة مضاعفة (٤)

١- يتضح من هذا أن النبات يجدد الشباب وأنه يجب أن يؤكل بعد أن يبلغ المرء الشيخوخة ولهذا السبب لم يأكل منه جلجامش في الحال بل انتظر حتى يدركه الشيب بعد أن يعود إلى الوركاء ولعله رأى أيضاً أن يزرعه في بلاده فيكثر نوعه .

٢- أي أن الحية استطاعت بتأثير ذلك النبات السحري أن تجدد الشباب بنزع جلدها ، ولعل من هذه الأسطورة الطريفة منشأ اتخاذ الحية رمزاً للحياة والشفاء والطب عند معظم الأمم

٣- من نعوث الحية عند العراقيين القدماء

٤- السياق يقتضي خمسين ساعة مضاعفة

يأتي هذا المخلوق فيختطف النبات مني ؟
وقد سبق أني لما فتحت منافذ الماء
وجدتُ أن هذا نذير لي أن أتخلى (عن مطلبي)
واترك السفينة في الساحل (١)
وبعد مسيرة عشرين ساعة مضاعفة تبليغا بلقمة من الزاد
وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل
ثم وصلا إلى " أوروك " ذات الأسوار
فقال جلجامش لـ " أور - شنابي " الملاح : أعل يا أور - شنابي
وتمش فوق أسور " أوروك "
واقحص قواعد أسوارها وانظر إلى أجر بنائها وتيقن أليس من الأجر المفخور (المشوي)
وهلا وضع الحكماء السبعة أسسها (٢)
إن " شارا " واحد خصص للسكنى (في المدينة) وشارا واحد لبساتين النخيل
وشار واحد ليسهل الإرواء بالإضافة إلى حارة معبد عشتار
فنتضمن أوروك ثلاثة " شارات " والحارة
تذييل : اللوح الحادي عشر من " هو الذي رأى كل شيء " من سلسلة جلجامش
استنسخت طبق الأصل وحققت
(مكتبة) قصر " آشور - بانيبال " ، ملك العالم ، ملك بلاد آشور .

١- فسّر إخفاقه أنه نذير له أن يترك السفينة ويعود برا مع الملاح أور - شنابي الذي نفا وطردهُ سيده " أوتو - نبشتم "
٢- يعود المؤلف إلى بداية الملحمة ، كما نوهنا بذلك في المقدمة .

" اللوح الثاني عشر "

لقد سبق أن ذكرنا أن اللوح الثاني عشر من مجموعة ألواح جلجامش لا يمت في حوادثه بصلة قصصية فنية إلى مادة الملحمة ولكنه أدمج بها دمجاً اصطناعياً . ولعل المناسبة في ذلك أو المبرر إلى ذلك أنه بعد أن عاد جلجامش خائباً من نوال الخلود شغله التفكير بمصيره في عالم ما بعد الموت فجاء وصف ذلك العالم وحال الموتى فيه باستعادة حادثة نزول صديقه أنكيديو إلى ذلك العالم مُحققاً بذلك لسان حاله :

" لو جاء من أهل البلى مخبر
" هل فاز بالجنة عمالها
سألت عن قوم وأرختُ "
أو هل ثوى بالنار نوبخت "

ومع أن ذلك اللوح لم يدرج في ترجمة الملحمة في كثير من التراجم التي أوردناها إلا أننا ارتأينا أن نوجز مضمونه في نهاية الترجمة إتماماً للفائدة .
ومما يقال بوجه الإجمال أن هذا اللوح يكاد يكون ترجمة أكديّة حرفية لأصل سومري يدور على الأعمال البطولية المنسوبة إلى جلجامش وصديقه ولا سيما قصة نزول أنكيديو إلى العالم الأسفل (عالم الأموات) . ولكن ينخرم زهاء الأثني عشر سطرأً من أول اللوح الثاني عشر وقد رجح أنها تحتوي على نفس المادة الموجودة في الأصل السومري^(١) الذي تبدأ حوادثه من أزمان الخليقة بعد انفصال السماء عن الأرض وخلق البشر . وبعد أن تقاسم الآلهة العظام مسؤوليات الكون واختص كل منهم جزء منه ، حدث في تلك الأزمان أن شجرة لعلها شجرة الصفصاف^(٢) قد اقتلعتها الريح الجنوبية وجرفها نهر الفرات ، وحين اقتربت من مدينة " أوروك " رأتها الآلهة " إنانا " (عشتار) حينما كانت تتمشى على ضفاف النهر فانتشلها من الماء وأخذتها إلى بستانها المقدسة في " أوروك " وتعهدتها بالرعاية لتصنع من خشبها سريراً وكرسيّاً لها ، ولكن لما كبرت الشجرة لم تستطع " إنانا " أن تحقق ذلك الغرض لأن ثعباناً اتخذ أسفلها مأوى له كما اتخذ أعلاها طير الصاعقة "زو" عشاً لصغاره واتخذت وسطها الشيطانة " ليلث " (٣) مأوى لها . فحزنت عشتار لما حل بشجرتها ولكن لما سمع جلجامش بمحتنتها خف لنجدتها وهجم على الثعبان وذبحه ففر طير الصاعقة وهرب تاركاً الشجرة ومثل ذلك فعلت الشيطانة " ليلث "

١- لقد نشر القسم الأول من التأليف السومري الأستاذ كرامر S.N Kramer بعنوان Gilgamesh and the Huluppu – Tree وانظر أيضاً كتاب المؤلف :
Sumerian Mythology (1944) , 30 , ff
واعتمدنا في هذا التلخيص على كتاب ملحمة جلجامش وفيه بحث مسهب عن عقائد العراقيين القدماء في عالم ما بعد الموت وتصوراتهم له :

Alexander Heidel , The Gilgamesh Epic (1949) , 93 , ff

٢- ورد اسمها بصيغة Huluppu أي الخلاف في العربية
٣- قارن سفر أشعيا ٣٤ : ١٤ . وقارن أخبار الأدب العربي في اتخاذ الشياطين والشيطانات الأشجار مأوى لها وقد قضي على مثل هذه الأشجار في صدر الإسلام

ثم عمد جلجامش ومعه رجال " أوروك " على قص الشجرة وسلمها إلى عشتار لتصنع منها سريراً وكرسيًا ، وإلى هذا صنعت عشتار من أسفلها ومن أعلاها آلتين غريبتين ما أمكن ترجمتهما واسم أولهما " بكو " والثاني " مكو " (١) وأهدتهما إلى جلجامش ولكن حدث لسوء حظ جلجامش أن هاتين الآلتين سقطتا في أحد الأيام في العالم الأسفل وأخفق في جلبهما من ذلك العالم فحزن حزناً عظيماً وصار يندبهما. وإلى هنا ينتهي تقريباً النص السومري ولكن يبدأ نص اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش . فنجد أن هذا اللوح (من بعد انخرام اثني عشر سطرًا منه كما ذكرنا) يبدأ بحزن جلجامش على ضياع آلتيه الـ " بكو " والـ " مكو " فخف إليه أنكيديو وتطوع أن ينزل إلى العالم الأسفل لي جلب له تينك الآلتين العزيزتين وعند ذلك أخذ جلجامش يحاور أنكيديو ويرشده كيف ينبغي له أن يسلك في ذلك العالم :

" إذا اعتزمت النزول إلى العالم الأسفل هذا اليوم
فسأقول لك كلمة فاتبع كلمتي
سأرشدك فسر وفق إرشادي
لا تكتس بالحلة النظيفة (الزاهية) وإلا هب بوجهك الأموات
لأنك تبدو غريباً عن عالمهم
لا تمسح جسمك بالزيت الفاخر لئلا يتجمعوا حولك بسبب عطره
لا ترم رمحاً في العالم الأسفل مخافة أن تصيب بعضهم فيحيطوا بك
لا تأخذ بيدك عصا وإلا فإن الأرواح سترتجف منك
لا تلبس نعلًا في قدميك ولا تحدث صوتاً في العالم الأسفل
وإذا وجدت الزوجة التي تحب فلا تقبلها
وإذا صادفت الزوجة التي تبغض فلا تضربها
ولا تقبل الابن الذي تحبه ولا تضرب الابن الذي تكرهه
إلا فإن صراخ العالم الأسفل سيغلبك "

ولكن أنكيديو لم يأخذ بنصح سيده جلجامش بل سلك عكس الوصايا التي أوصاه بها فلبس حلة فاخرة ومسح جسمه بالزيت العطر فتجمع حوله سكان العالم الأسفل وقذف بالرمح فأحاط به من أصابهم وأخذ معه عصا فارتجفت الأرواح قدامه ولبس الخف بقدميه وأحدث ضجة في العالم الأسفل وقبّل المرأة التي يحب وضرب المرأة التي يبغض وقبّل الابن الذي يحب وضرب الولد الذي يكره فغلبه صراخ العالم الأسفل . ولذلك قررت ملكة العالم الأسفل أن لا يخرج أنكيديو من ذلك العالم لأن سننه أن من يدخله لا يرجع منه (٢) . ولما لم يعد من العالم الأسفل أخذ صاحبه جلجامش يندبه

١- اسمه بالسومرية **ki-nu-gi** وترجمة ذلك بالأكدية " أرصت لا تارى " أي " الأرض التي لا رجعة منها " ٢- نرجول في التوراة . وكان مركز عبادته في كوثي (تل ابراهيم الآن)

ويبيكه وقصد معبد أنليل في نفر المسمى " أي - كور " وبث شكواه إلى الإله أنليل عن اختفاء آليته الـ " بكو " و " مكو " في العالم الأسفل وإن ذلك العالم أمسك بصديقه الذي نزل إليه . ولكن أنليل لم يسعفه فذهب إلى " أور " وقصد معبد الإله " سين " وبث شكواه وألتمس عونه وهنا لم يستجب إليه هذا الإله أيضاً فقصد معبد الإله " أيا " (أي - سبو) في " أريدو " وطلب العون منه فاستجاب هذا إلى إغائته وخاطب إله العالم الأسفل نرجال (١) وطلب منه أن يحدث فتحة صغيرة في العالم الأسفل حتى تخرج منها روح أنكيديو وتخبر صديقه بأحوال ذلك العالم فاستجاب نرجال لطلب الإله " أيا " وأحدث ثقباً خرجت منه روح أنكيديو كأنها الريح فتعانقا وقبل أحدهما الآخر وأخذ جلامش يسأل شبح صديقه :

" أخبرني يا صديقي عن أحوال العالم الأسفل الذي رأيت " فأجاب صديقه : " لن أقص عليك أخبار العالم الأسفل يا صديقي " " وإذا كان لا بد من إخبارك بها فستحتم عليك أن تجلس وتبكي " فأجابه جلامش " سأجلس وأبكي " فأخذ أنكيديو يصور له الصور القاتلة التي رآها في عالم الأموات : " إن جسمي الذي كنت تلمسه يوم كان قلبك تغمره الأفراح ، تلتهمه الديدان الآن كما لو كان لباساً خلقاً ، وقد امتلأ بالتراب " فصرخ يا ويلتاه ورمى نفسه في التراب صرخ جلامش يا ويلتاه ورمى نفسه في التراب وخاطب شبح أنكيديو هل رأيت الذي لا ولد له ؟ أجل لقد رأيت هل رأيت الذي خلف وراءه ابناً واحداً ؟ أجل لقد رأيت وهو مدد أسفل الجدار ويبيكي بكاءً مرأً والذي خلف ابنين هل رأيت ؟ أجل لقد رأيت أنه يضطجع في بناء من الآجر ويأكل الخبز هل أبصرت الذي خلف ثلاثة أبناء ؟ أجل رأيت . أنه يسقى الماء من زقاق ماء العمق والذي له أربعة أولاد هل رأيت ؟ أجل رأيت وهو فرح القلب والذي له خمسة اولاد هل رأيت ؟ نعم رأيت وهو كالكاتب الطيب ويده مبسوطة ويسمح له بدخول القصر هل رأيت الذي له ستة أولاد ؟ نعم رأيت

ثم يسأله عن الذي خلف سبعة وثمانية ولكن ينخرم النص في الجواب فلا سبيل لمعرفة حالهم ، ثم يسأله عن حالات أخرى غير معروفة لإنخرام النص أيضاً وأوضح حالة سؤاله عن ذلك الذي قتل في المعركة حيث شاهده بصحبة أبيه وأمه ولكن زوجته تبكي عليه .

وسأله عن ذلك الذي لم يدفن بل ظل في العراء فأجابه أن روحه لا قرار لها في العالم الأسفل وسأله عن ذلك الذي لا يقرب له أحد من الأحياء من بعد موته فأجابه بأنه يأكل الفضلات التي ترمى في المزابل .

وينتهي اللوح بالتذييل المؤلف : " اللوح الثاني عشر من سلسلة هو الذي رأى كل شيء " وفي نص آخر : " اللوح الثاني عشر من سلسلة جلجامش وقد تمت "

=====